الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الفرع: دراسات أدبية **التخصص: أدب حديث ومعاصر**

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

شعر السجون في الأدب الجزائري الحديث
ديوان اللهب المقدس لمفدي زكريا أنموذجا

إعداد الطالبتين: **إشراف الأستاذة:**

- **شادولي ميم** **د.أحمد الحاج أنيسة**
- **شنة سوهيلة**

أعضاء اللجنة المناقشة:

د. معزيز بوبكر	**رئيسا.**
د. شريط رابح	**مناقشا.**
د. أحمد الحاج أنيسة	**مشرفا ومقررا.**

السنة الجامعية:

1439هـ -1440هـ / 2018م -2019م.

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بعد حمد الله وشكره، أهدي ثمرة جهد طويل إلى من أمر الله تعالى ورسوله بطاعتهما، إلى من تعطر فمي باسمهما، وأنار وجودهما حياتي، وعجزت كلماتي عن إيفاء حقهما، برّ الأمان وتاج الزمان أبي الغالي شيخ، إلى من سكنت القلب وملكت الروح والعقل نبع الحب والحنان أمي الحبيبة خيرة، أطال الله في عمرهما.

إلى من حفظتا أسراري وكانتا سندا لي، أجمل وأغلى كنوز الدنيا أختيّ الغاليتين نعيمة وفاطمة.

إلى من رسم الابتسامة على وجهي ولم يجعل للفرحة نهاية في قلبي شيخ أحمد.

إلى كل الزملاء والزميلات بالأخص رفيقتي ميم وحبيبة. ولن أنسى كل الأساتذة الذين تتلمذت على أيديهم. إلى كل من وسعتهم الذاكرة ولم يسعهم القلم.

سهيلة

إهداء

أهدي هذا العمل إلى:

من ربتني، وأنارت دربي عانتني بالصلاة والدعاء، إلى أغلى إنسانة في هذا الوجود أمي الحبيبة أتمنى أن يطيل الله في عمرها، إلى من عمل بكدّ في سبيلي وعلّمني معنى الكفاح أبي الكريم أدامه الله لي.

إلى أفراد أسرتي، سندي في الدنيا ولا أحصي لهم فضلا توأم روحي، أفضل صديقة فتيحة، النبض يسري والروح لها تنساق المحبة لعايزة، الأخت الهادئة الغالية عوالي، إلى من سكنت الروح وأضاقت القلوب المحبة دليلة، إلى النفوس الطاهرة الرقيقة إخوتي الأعزاء كل من محمد وقادة، ولا أنسى قرة عيني يا أغلى دروبي يا غلاي ووادي كتكوتتي فاطمة الزهراء.

إلى كل من ساعدني في مشواري الدراسي أصدقائي: رفيقة عمري سهيلة الغالية حبيبة، أسماء، إكرام ولا أسهو عن عبد الصمد. إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

ميم

شكر وعرفان

قال تعالى في الآية الكريمة من سورة إبراهيم

﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

بداية نحمد الله جل جلاله الذي أنعم علينا ووفقنا في إنجاز هذا العمل

نتوجه بجزيل الشكر والعرفان المقدم بأسمى العبارات للأستاذة المحترمة

"أحمد الحاج أنيسة"

لإشرافها على هذا البحث ومتابعته عبر كل مراحله

وسخائها علينا بالمراجع

دون غض النظر عن التوجيهات والنصائح القيمة

في سبيل إنجاز هذا العمل المتواضع بكل أمانة.

مقدمة

مقدمة

إن الشعر بحر عميق مليء بالأسرار، محاط بغموض يدفع متأمله إلى الغوص فيه لاكتشاف ما بقاعه، وأحجية تستفز القارئ لفك رموزها وإدراك معانيها الخفية، فهو فضاء واسع بحد ذاته تسبح فيه مكنونات وانفعالات الشاعر المتولدة عن مثير ما، وشعر السجون من ضمن تلك الانفعالات، قد عكس الشعراء من خلاله مبلغ المعاناة والألم الذي أطاح بهم جراء فقدانهم الحق الشرعي في الحرية، وهذا النوع من الشعر ليس بحديث العهد إنما يعود إلى قرون خلت، عُرف سَجن الشعراء منذ الأزل، وازداد في العصر الحديث نتيجة وقوع الوطن العربي بين يدي الاحتلال الغربي، الذي عمد إلى إخضاع الشعوب المستعمرة ونهب ثرواتها، وقد شكلت الفئة المثقفة في نظره عقبة يتوجب إزالتها، باعتبارها الأكثر وعيا ومعارضة له.

شهد العالم حادثة من أعظم الأحداث التاريخية، ونموذجا يحتذى به في الإرادة والصبر الثورة الجزائرية، التي سحرت عقول الكثير من الشعراء فتغنوا بها وبأمجادها، إلا أن صرخة الجزائر التحمت مع مفدي زكريا، وخير دليل ديوان اللهب المقدس، المحمّل بروحه الثائرة وأحاسيسه المتأججة تجاه بلاده التي بعثها من ظلمات السجن، مزينا بألوان الاعتزاز والفخر بالثورة المجيدة وبأسودها البواسل الذين اختاروا الموت وفضلوه لأجل تحرر أمهم الغالية من براثن هذا الوحش.

على الرغم مما يحمله هذا اللون الشعري من قيمة فنية ومعنوية، إلا أنه لم يحظ باهتمام جلي من قبل الدارسين والباحثين الأكاديميين، وهذا راجع لقلة المادة العلمية، وما دفعنا لتبني هذا الموضوع الرغبة في دراسة هذا الفن الذي ولد من الواقع المرير في حنايا الزنازين.

بعد اطلاعنا على جملة من الكتب تمثل لدينا الإشكال الذي جاء بالصياغة الآتية: **كيف كانت مسالك وحدود السجن في ديوان اللهب المقدس لمفدي زكريا؟ وماهي مميزات وخصائص هذا اللون؟**

وللإجابة عن الإشكالية السابقة قسمنا مادة بحثنا إلى فصلين، حيث تطرقنا في الفصل الأول الموسوم بـ"شعر السجون المفهوم والنشأة" للتعريف بشعر السجون مع تقديم لمحة تاريخية عن هذا الموضوع وتطوره عبر العصور، أما الفصل الثاني فوسمناه بـ" الدراسة الموضوعية والفنية لديوان اللهب المقدس"، وتمحورت هذه الدراسة حول أهم المضامين التي قبعت بين صفحات اللهب المقدس، مرورا بالجانب الفني المتضمن للغة الشاعر وأسلوبه وكذا الصورة الشعرية والبلاغة، وفي الخاتمة أجملنا أهم النتائج التي توصلنا إليها عبر هذه الدراسة.

إن التزامنا بهذه المحاور الكبرى نابع من إيماننا الراسخ بأهميتها في تحديد خصائص شعر السجون عند مفدي زكريا من خلال ديوانه الشعري اللهب المقدس، وللكشف عن خصائصه الموضوعية والفنية استعنا بالمنهج التاريخي في تشفينا لمراحل تطور شعر السجون عبر العصور ولأن المنهج التاريخي لا يستقل بذاته وظفنا المنهج الفني والأسلوبي في رصدنا لأهم الخصائص الموضوعية والفنية التي تضمنها ديوان اللهب المقدس.

استند هذا العمل على جملة من المصادر والمراجع، في مقدمتها ديوان اللهب المقدس الذي كان له الفضل في إنارة دروب البحث ولا يمكن صرف النظر عن البقية منها، شعر الثورة عند مفدي زكريا ليحي الشيخ صالح، السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي لواضح الصمد، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي لمصطفى بيطام، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر لشريبط أحمد شريبط.

ومن المعلوم أن الباحث وهو بصدد دراسة ما يواجه عقبات، قد تكون لضيق الوقت أو قلة الدراسات والأبحاث حول هذا الموضوع، لكن هذا لا يعيق العمل وإنما يكون حافزا أو دافعا للتجاوز والتفوق.

كما لا ننسى في نهاية هذه المقدمة أن نعبر عن خالص شكرنا وتقديرنا للأستاذة الدكتورة أحمد الحاج أنيسة التي أثرت بحثنا بمجموعة من المراجع النادرة، كما نتوجه بالشكر والتقدير إلى أعضاء اللجنة المناقشة التي تجشمت عناء قراءة هذه المذكرة وتصويبها.

وفي الأخير نحمد الله الذي وفقنا في إتمام هذا العمل المتواضع، فإن أصبنا فمن الله عز وجل وإن أخطأنا فمن أنفسنا. وما التوفيق إلا بالله، وإياه نسأل القوة والسداد والإخلاص لوجهه.

حرر بتاريخ: 15 جوان 2019م

الموافق لـ: 12 شوال 1440هـ

شادولي ميم

شنة سوهيلة

الفصل الأول: شعر

السجـــون المفهوم والنشأة

- المبحث الأول: مفهوم شعر السجون
- المبحث الثاني: شعر السجون في الأدب العربي القديم
- المبحث الثالث: شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر
- المبحث الرابع: السجن في الشعر الجزائري الحديث

المبحث الأول: مفهوم شعر السجون.

المطلب الأول: السجن لغة واصطلاحا

لغة: جاء في معجم **لسان العرب لابن منظور** "السِّجن: الحَبس، والسَجن بالفتح: المصدر. سَجَنَه يَسجُنُه سَجناً أي حبسه. وفي بعض القراءة قال: قال ربِّ السَّجن أحَبُّ إليَّ. والسِّجن: المحبِس. وفي بعض القراءة: قال ربِّ السِّجن أحَبُّ إليَّ، فمن كسر السين فهو المحبِس وهو اسم، ومن فتح السين فهو مصدر سَجَنَه سَجناً. وفي الحديث: ما شيء أحقَّ بطولِ سجنٍ من لسانٍ. والسَّجان: صاحب السجن. ورجل سجين: مسجون، وكذلك الأنثى بغيرها، والجمع سجناء وسجنى. وسجن الهمّ يسجنه إذا لم يبثه. وسجيّن فعيّل من السجن. يقول **الجوهري:** سجيّن موضع فيه كتاب الفجار"[1].

وقوله تعالى:﴿ **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ** ﴾[2] قيل: "المعنى أن كتابهم في حبس لخساسة منزلتهم عند الله عزّ وجلّ، وقيل: في سجين في حجر تحت الأرض السابعة. وقيل: في حساب"[3].

كما أورد **ابن فارس** في **مقاييس اللغة**؛ "السين والجيم والنون أصل واحد وهو الحبس يقال سجنته سَجناً، والسِّجن مكان يسجن فيه الإنسان"[4].

لفظة السجن في القرآن الكريم:

وردت لفظة السجن في القرآن الكريم بمعان عدة مذكورة في جملة من السور منها:

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب- دار صادر- بيروت- د. ط- د.ت- مج:13- ص: 203، 204.

[2] سورة المطففين -الآية: 7.

[3] السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس- تق: مصطفى حجازي- مر: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، خالد عبد الكريم جمعة- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- ط 1-2001م- ج: 35- ص: 170.

[4] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة- تق: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- د.ب- د. ط- د. ت- ج: 03- ص:137.

قوله تعالى:﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]

وقال أيضا:﴿ **قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾**[2]

روى **البيهقي** عن سجن سيدنا **يوسف عليه السلام** فقال: وكتب يوسف على باب السجن: هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء. ودعا لأهل الحبس بدعوتين هما معروفتان فيهم إلى اليوم وهما: اللهم اعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخيار. فكل الناس يرحمونهم والأخيار من كل جهة عندهم[3].

وذكرت كلمة السجن أيضا في سور أخرى منها: **قوله تعالى** في سورة المائدة:﴿ **تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾**[4]

وجاء في سورة المائدة:﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾**[5]

جاء في الآية الكريمة لفظة "**ينفوا**" بدل "**يسجنوا**" والمعنى المراد من النفي هو أن يخرج من بلده إلى بلد آخر فيسجن فيه.

وردت في القرآن الكريم ألفاظ أخرى بمعنى الحبس أو السجن:

قوله تبارك وتعالى:﴿ **وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾**[6]

---

[1] سورة يوسف- الآية: 25.

[2] سورة يوسف- الآية: 32.

[3] ينظر واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية، من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي- المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان- ط1- 1995م- ص: 25.

[4] سورة المائدة- الآية 106.

[5] سورة المائدة- الآية 33.

[6] سورة البقرة- الآية 231.

وقال أيضا:﴿ **وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا** ﴾[1]

المعنى المقصود هنا أن السجن هو المصير المحتوم الذي لا مفر لهم منه.

السجن في السنة النبوية:

اختلفت الآراء وتباينت حول ماهية السجن في عهد الرسول ﷺ. فالرأي الأول: يقول بوجود السجن في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، في حين يظهر آخر يفند وجود السجن في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يعد هذا الأخير الطاغي في ساحة الفقهاء وما يؤكد ذلك قوله ﷺ: «**اقتلوا القاتل واصبروا الصابر**»، والمراد بعبارة "**اصبروا الصابر**" احبسوا الذي حبسه للموت، حتى يموت أو يحبس الممسك في السجن حتى يموت.

وذكر **المقريزي**: روى أبو داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن أبيه، قال: أتيت النبي ﷺ بغريم لي، فقال لي: ألزمه.. ثم مر الرسول ﷺ بي آخر النهار، فقال: ما فعل أسيرك يا أخا بني تميم؟ وهذا كان هو الحبس في عهد النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه ولم يكن له محبس معد لحبس الخصوم[2].

"وفي كتب السيرة من خبر إسلام: عدي بن حاتم الطائي وفراره إلى الشام حين سمع بجيش رسول الله ﷺ، وطئ بلادهم، فخرج هاربا، فتبعه الخيل فأصابت أخته ممن أصابه فقدم بها في سبايا طيء. وقد بلغ الرسول ﷺ أنه هرب إلى الشام فجعلت بنت حاتم في حصيرة بباب المسجد وكانت النساء تحتبس فيها"[3].

اصطلاحا:

وجد مصطلح السجن في مختلف العصور والأمصار وقد اختلفت مفاهيمه ووظائفه وأهدافه باختلاف الأمم والعقائد والثقافات. يدل مصطلح السجن على الانعزال والإقصاء والتهميش

---

[1] سورة الإسراء- الآية: 8.

[2] ينظر واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية- ص: 26، 27.

[3] المرجع نفسه- ص 27.

وغياب حق الحرية الذي تتمتع به كل الكائنات.. فالسجن هو التوقف عن ممارسة الحرية فبوضع الطير في قفص نكون قد اغتصبنا حقه الطبيعي في التحليق بحرية في الفضاء الواسع وحجزناه داخل سجن حديدي وكذلك الحال بالنسبة للإنسان فبمجرد الحكم عليه بالسجن فقد منعناه من ممارسة حريته، وتختلف أسباب السجن باختلاف حالات المسجونين وطبيعة الجرم المرتكب فقد يصدر الحكم بالسجن نتيجة جرم أو ذنب اقترفه الشخص أو مخالفة القانون السائد في الدولة أو معارضة السياسة... فمثلا يكثر السجن في فترة الحروب حيث يتعرض العديد من الثوار إلى الاعتقال على يد الاستعمار لعدم خضوعهم لأوامر هذا الأخير ونجد أيضا أسبابا عديدة ومتنوعة تؤدي إلى السجن.

وفي هذا الصدد وضع الدارسون عدة تعريفات لمصطلح السجن منها تعريف **سالم معوش** الذي يرى بأن السجن هو: **مؤسسة عقابية تهدف إلى ردع المذنب عن عمله وإنزال العقوبة به وحجزه بغية تأديبه**[1]، فالسجن حسب ما جاء في هذا التعريف هو مكان مخصص لفئة معينة من المجتمع قامت بارتكاب جرائم أو خالفت القانون العام للدولة أين يتم حجزهم لفترة ما ومعاقبتهم بغية إصلاح سلوكهم والحد من الجريمة باختلافها في المجتمع. ويعرفه أيضا **العقاد** بأنه: **مكان لاعتقال الأسرى أو المحكوم عليهم بالموت ثم أصبح مكانا للتخلص من بعض المغضوب عليهم أو الواقفين في طريق ذوي السلطان**[2]، أي أن السجن كان مكانا يحتجز فيه المذنبون وبمرور الزمن تحول ليتوافق ورغبة أصحاب الحكم ليصبح المصير المحتم لكل معارض سواء كان على حق أم لا، بمعنى آخر أصبح السجن وسيلة لتصفية الحسابات يوظفها أصحاب السلطة ضد أي معارض لقراراتهم وسياستهم أو بالأحرى ما يعكر صفو رغباتهم، ويتواجد هذا النوع من السجون بوجود حكام مستبدين.

---

[1] ينظر سالم المعوش: شعر السجون في الادب العربي الحديث والمعاصر دار النهضة العربية- بيروت- لبنان- ط1- 2003م –ص:34 –نقلا عن: حليمة بوسعيد –صورة الوطن في شعر السجون محمود درويش نموذجا –مذكرة ماستر –جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي –2014م/2015م –ص:7.

[2] ينظر المرجع نفسه –ص:7.

كما يشير السجن إلى النفي والذي يعد وسيلة أخرى لسلب حرية الفرد في العيش في وطنه وبذلك ينقطع وجوده الفعلي فيه، وهذا يدفع بالفرد للجوء إلى أي وسيلة تبقيه على اتصال بوطنه حتى وإن كانت مجرد ذكريات أو كلمات وهذا ما نجده بكثرة لدى شعراء المنفى والسجون الذين يلجؤون إلى الكتابة سواء شعرا أم نثرا لإشباع حنينهم ولهفتهم نحو الوطن[1]. ويمكن أن نختصر السجن في "ثلاثة عناصر: سلب الحرية، وتعطيل الحركة، والإقامة الجبرية"[2].

المطلب الثاني: شعر السجون

مفهوم شعر السجون:

شعر السجون ليس حديث النشأة، فقد عرفه الشعراء منذ القدم من العصر الجاهلي وصدر الإسلام حتى يومنا هذا، كانت وحشة السجن وظلمته وبرودته تثير الشعراء فتتدفق القصائد منهم كالسيل حاملة بؤسهم ويأسهم وأملهم.. ، فهو وليد غرق الشاعر في غياهب السجن وما ألمّ به من وحدة وألم وحزن على فراق الأهل وكذا يأسه من حالته المزرية وانعزاله عن محيطه وفقدانه لأثمن شيء لديه المتمثل في حريته، إلا أن هذا لا ينفي وجود جانب آخر له حمل في طياته صبرهم وصلابتهم. واعتبر شكلا من أشكال المقاومة والنضال الفكري، لالتزامه بقضايا الوطن ودفاعه عنها من أجل تحقيق مكسب واحد ألا وهو الحرية، مزودا بدرع الإيمان وبسالة الاستشهاد مضحيا بنفسه مقابل أن تحيا الجزائر[3]. المفاهيم التي طرحت شعر السجون لم تتباين فكلها تصب في معنى واحد، ومما جاء في ذلك أنه الوصف المفصل لحياة السجون عبر العصور،

[1] ينظر حليمة بن عمر: مرايا السجن في الشعر العربي المعاصر بدر شاكر السياب نموذجا– مذكرة ماجستير–جامعة تلمسان– 2011م / 2012م– ص: 11.

[2] أحمد مختار البزرة: الأسر والسجن في شعر العرب، تاريخ ودراسة– مؤسسة علوم القرآن– دمشق– سوريا– ط1– 1405هـ/1985م– ص: 23.

[3] ينظر حليمة بوسعيد: صورة الوطن في شعر السجون محمود درويش أنموذجا– ص: 13.

مقدما في قالب جمالي مليء بمكنونات الشعراء التي اخترقت جدران السجن ومسامع الجماهير لتمس القلوب[1].

بالإضافة إلى أن السجن هو "منع من الحرية ومكان لقهر النفوس وإذلالها فهو موطن غاية في الضيق محكم الغلق والقيد، أما الكلام النابع من هذه الظلمات فهو "حصاد السجن" على حد تعبير الشاعر الصافي"[2].

ولد الشعر وترعرع داخل أعماق السجن الموحشة، محملا بأشكال العذاب من قهر وإذلال واحتقار.. خلف البوابات السوداء، فهو ثمرة معاناة الشاعر التي عايشها وراء القضبان.

[1] ينظر حليمة بوسعيد: صورة الوطن في شعر السجون محمود درويش أنموذجا– ص: 13.

[2] مقران فصيح: البناء اللغوي لشعر السجون– منشورات بونة– عنابة– الجزائر– ط1– 2008م– نقلا عن: حليمة بوسعيد: صورة الوطن في شعر السجون محمود درويش أنموذجا– ص:14.

المبحث الثاني: شعر السجون في الأدب العربي القديم.

المطلب الأول: في العصر الجاهلي

كانت العرب قديما لا تحتفي إلا بثلاث ميلاد غلام وميلاد فرس ونبوغ شاعر، فقد كان هذا الأخير مصدر فخر لقبيلته فكان ترجمانها وسلاحها ولسانها وسيفها القاطع لكل الألسنة المعادية، فكان للشعر وللشاعر منزلة قيمة عند العرب لكن ورغم أهميته إلا أنه لم يقدر على تجاوز الأعراف والتقاليد التي كانت مسيطرة بشكل تام على المجتمع العربي وكان لزاما على الشاعر أن يخضع للعرف وأن لا يخرج عنه أبدا وأي تغيير أو محاولة خروج عن الأعراف قد تؤدي بصاحبها للهلاك أو السجن كما هو الحال لدى الشعراء الصعاليك.[1]

تميز العصر الجاهلي بكثرة حروبه وغزواته فكانت أكبر الحروب وأشرسها وأطولها في المدة الزمنية تنشب عن أسباب ليست بذلك القدر من الأهمية، كما عدت وسيلة لزيادة ثروة القبيلة ونتيجة حتمية خلفتها تلك الحروب إلى جانب الغنائم الوفيرة من ضمنها أسرى، فكان الطرف المنتصر يقوم بأسر كل من تبقى من الطرف المهزوم دون مراعاة الجنس أو السن أو اللون أو المكانة حيث قلبت الموازين فأصبح سيد القوم ذليلا بعد أسره عند قوم آخرين ومن الأحداث التي تشير إلى وجود ذلك ما قاله **أكثم بن صيفي** حينما جاءه قومه فزعين من إقبال مذحج عليهم: ((**ألبسوا جلود النمور، والثبات أفضل من القوة، وأهنأ الظفر كثرة الأسرى، وخير الغنيمة المال، ولا ترهبوا الحرب عند الموت**))[2]، ولم يسلم الشعراء أيضا من الأسر والسجن قديما فقد مس السجن عددا كبيرا من الشعراء الكبار مسا رفيقا ومنهم من أوغلت في حياتهم والدليل على ذلك ما يحمله التراث الشعري من قصائد نظمها أصحابها في السجن، والتي عرفت فيما بعد بشعر السجون الذي عبروا من خلاله عن معاناتهم وألمهم الجسدي ويتمثل في التعذيب الذي يتلقونه من

[1] ينظر واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية- ص:101.

[2] المرجع نفسه – ص: 116.

قبل السجانين وألمهم النفسي المتمثل في الشعور بالإذلال والهوان والعبودية بعد سلب حريتهم وفراقهم لأهلهم، وهذا كان في الإمارات العربية (**المناذرة ،الغساسنة**) وبعض الحواضر (**مكة، اليمن**)[1]، وقد جاء على ألسن المساجين كثيرا منهم في وصف السجون وتصوير أوضاعها ،هذه الأخيرة كانت الحافز الكبير في إيقاظ ملكات الشعراء وشحذ قرائحهم، مما زاد في ثراء نتاجهم بدليل مصداقية الشاعر.

السجن عند المناذرة:

ورد في الشعر الجاهلي ما يشير إلى وجود سجون مثل "**صنّين**" بالحيرة، محصنة بموظفين أوكل إليهم مهمة المحافظة عليها ومراقبة المساجين إضافة إلى الأمر بتعذيبهم وقتلهم تبعا لأوامر الملك. لعل أشهر الشعراء الذين حرك عواطفهم وأشعل نار الحنين لأهلهم وأحبتهم وأذاقهم طعم الوحدة الموحشة[2]:

- **البرّاء بن قيس**: الذي قال في زوجته عندما سجن عند كسرى أنو شروان:

يَا دَارَ خُذْفَـــةَ بِاللَّـــوَى فَالْـــمَجْدَلِ فَجَنُـــوب أُسْـــنُمَة فَقُـــفَّ الْعُنْصُـــلِ

بَـــلْ لَا يَغُـــرَّكَ مِـــنْ حَلِيـــلِ صَـــالِح إِنْ لـــَمْ يُلَاقِـــكَ بَعْـــدَ عَـــامِ الأَوَّلِ

كَانَـــتْ إِذَا غَضِـــبَتْ عَلَـــيَّ تَظَلَّمَـــتْ وَإِذَا كَرِهْـــتُ كَلامَهـــا لَـــمْ تُثْقِـــلِ

وَإِذَا رَأَتْ لِي جَنَّـــةً عَمِلَـــتْ لَـــهَا وَمَـــتَى تَعَـــنَّ بِعِلْـــمِ شَـــيءٍ تَسْـــأَلِ

كما نظم قصيدة من ستة عشر بيتا ذكرها صاحب الأغاني عندما أسره بنو تميم، يقول في بعض أبياتها:

[1] ينظر واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية- ص: 15.

[2] المرجع نفسه – ص: 16.

قَتَلَتْنَـــا تَـــمِيمُ يَوْمًـــا جَدِيـــدا قَتْـــلَ عَـــادٍ وذَاك يَـــومُ الكُـــلابِ
تَرَكُونـــــي مُسَـــــهَّداً فِي وَثاق أَرْقُـــبُ الـــنَّجْمَ مـــا أُسِـــيغُ شَـــرَابِي
خائفـــاً لِلـــرَّدَى ولـــولا دِفـــاعي بمئـــينٍ عـــن مُهْجَـــتِي كالِهضـــابِ [1]

● ومن الشعراء من لم تكن الحروب سببا في سجنهم وإنما كانت المكائد سبيلا في ذلك مثلما حدث **لعدي بن زيد العبادي** الذي أودعه النعمان بن المنذر الحبس بسبب مكيدة حاكها الوشاة، قال عدي مخاطبا الملك النعمان بقصيدة يستعطفه بها ويحذره من الأعداء الذين أوقعوا بينهما، يقول فيها:

سَـــعَى الأَعْـــداءُ لا يألُـــونَ شَـــرًّا عَلَـــيَّ ورَبِّ مَكـــةَ والصَّـــلِيبِ
أرادُوا كَـــيْ تُهَهِّـــلَ عـــن عُـــدَيّ لِيُسْـــجَنَ أو يُدَهْـــدَهَ في القَلِيـــبِ
ألَا مَـــن مُبْلِـــغُ النُّعْمـــانِ عَـــنِّي وقـــد تُهْـــدَى النَّصِـــيحةُ بِالـــمَغِيبِ
أَحَظِّـــي كـــان سِلْسِـــلةً و قَيـــداً و غُـــلاًّ والبيـــانُ لَـــدَى الطَّبِيـــبِ
أَتَاكَ بِأَنَّـــنِي قـــد طَـــالَ حَبسِـــي ولم تَســـأَمْ بـــمَسجونٍ حَرِيـــبِ [2]

● أودع أيضا الشاعر الفتي **طرفة بن العبد** بأمر من الملك عمرو بن هند وأبى العامل أن يقتله لصلة قرابة تربطه به ومما قاله:

ألاَ اِعْتَـزِلِينِي اليـومَ يا خَـوْلَ أو غُضِّـي فقـد نَزَلَـتْ حَـدْبَاءُ مُحْكَمَـةُ العـضِّ [3]
أبا مُنْـذِرٍ كانـت غَـروراً صَـحِيفَتِي ولم أُعْطِكُـم بِالطّـوعِ مـالي ولا عِرْضِـي

ثم أرسل الملك عمرو رجلا من بني تغلب قتل طرفة.

[1] واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية- ص: 103، 104.
[2] المرجع نفسه- ص: 109.
[3] المرجع نفسه - ص: 106.

السجن عند الغساسنة:

- **سعيد بن العاص:** يروى أنه سار إلى الشام في تجارة، فحبسه عمرو بن جفنة لأجل "عثمان بن الحارث" لفعل لم يقترفه فقال سعيد في ذلك:

يَا رَاكِـــبِي أمَـــا عَرَضـــتَ فَـــبَلِغْنَّ قَـــوْمِي يَزِيـــدَا
عُثْمَـــانَ أَوْ عَفَـــانَ أَوْ أَبْلِـــغْ مُغَلْغَلَـــةَ أَســـيدَا
فَلَأَمْـــدَحَنَّ المَادِحِيـــنَ بِـــمَدْحَةٍ تَأْتِي شـــرُودَا

وتظهر من خلال هذه الحادثة مدى تأثير المال في كل عصر إذ كان سبيلا في تحرير سعيد، ومن لا مال له ولا شفيع ولا منقذ يظل حبيسا حتى يلقى حتفه هذا ما حصل مع "الهاشم العامري"[1].

السجن في مكة:

عُرف على سادة الأسر في مكة بحبس المخالفين والخارجين على الطاعة في بيوتهم بسلاسل وأغلال تمنعهم من الخروج أو مغادرة المكان، مع ظهور الإسلام أمر زعماء مكة بحبس كل من أسلم من الشبان عقوبة لهم وعلى رأسهم **"الوليد القرشي المخزومي المدني"** الذي هرب بغية اللحاق بالرسول عليه الصلاة والسلام الأمر الذي دفعه لبيع المنياقة بالطائف وقال:

وَلِيـــدُ هَـــاجِرْ وَبِـــعْ الْـــمِنْيَاقَة وَ اِشْـــتَرِ مِنْهَـــا جَمَـــلًا وَنَاقَـــة
ثُمَّ اِرْمِهِـــــمْ بِنَفْسِـــــكَ الـــــمُشْتَاقَة[2]

ويقال أنّ **الحارث بن مخزوم** كان يحبس سفهاء قومه في جبل بمكة يدعى النقيع. والملاحظ من ذلك أنه لم يكن مجهزا ومحصنا كما يلزم، الحراسة كانت مهملة والدليل على ذلك هروب الوليد القرشي.

[1] ينظر واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية – ص: 19.
[2] المرجع نفسه – ص: 18.

السجن في اليمن:

شاع عن اليمن منذ القدم اعتماد ملاكها أماكن محصنة مخصصة داخل قلاعهم يودع فيها عدد من المشاغبين والمعارضين والثوار على السلطة. وما ذكر سابقا ما هو إلا عينة من شعراء السجون في العصر الجاهلي فهناك من سجنوا بسبب الحروب والوشاية ومنهم من لم يكن له سبب لسجنه: **سعيد بن العاص، قيس بن مسعود، المنخل اليشكري، عنترة العبسي** وغيرهم.

المطلب الثاني: في صدر الإسلام

تقوم العقوبات في المجتمعات الإسلامية على القرآن الكريم والسنة النبوية واجتهادات الفقهاء، فيطبق القصاص حسب نوع الجرم والسلطة هي التي تنفذه، فالعقوبات تنفذ عند ثبوت الإدانة فالحاجة إلى السجن كانت نوعا ما قليلة وربما كان الحبس لإنسان ارتكب جرما ولم تضع له الشريعة الإسلامية حدا.

عمر بن الخطاب:

بعد وفاة أبو بكر الصديق تسلم عمر بن الخطاب الخلافة فقد روي أنه سجن عددا من الشعراء منهم:

- **تميم بن مقبل:** في هجائه الشاعر النجاشي فهجاه هذا الأخير فحكم بينهما عمر رضي الله عنه قال تميم: يا أمير المؤمنين هجاني.

قال عمر: يا نجاشي ما قلت؟ قال: يا أمير المؤمنين قلت ما لا أرى فيه عليه بأسا... فسله يا أمير المؤمنين عن قوله[1]:

أُولَئِـكَ إِخْـوَانُ اللَّعِـينِ وَأُسْـوَةُ الـ ـــهَجِينِ وَرَهْـطُ الـوَاهِنِ الـمُتَذَلِلِ

فقال عمر: أما هذا. فلا أعذرك عليه فحبسه وقيل جلده.

[1] ينظر واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية- ص: 30.

● **أبو محجن الثقفي:** شاعر مخضرم معاقر للخمر، عوقب مرارا من قبل عمر ابن الخطاب ولم ينته، فنفاه إلى جزيرة لكنه تمكن من الهرب وانتهى به الأمر عند سعد ابن أبي وقاص الذي حبسه بأمر من عمر. أثناء محاربة سعد العجم يوم القادسية سأل أبو محجن امرأة سعد أن تحيل قيده ليقاتل المشركين شريطة عودته إلى السجن، فلما علم عمر بما فعله الثقفي عفا عنه، وفي هذا الصدد قال:

كَفَى حَزْنًا أَنْ تَرْدِي الخَيْلُ بِالقَنَا وأُتْرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وِثَاقِيَا

إِذَا قُمْتُ عَنَّانِي الحَدِيدُ وَغُلِّقَتْ مَصَارِيعُ مِنْ دُونِي تُصِمُّ المُنَادِيَا[1]

● **الحطيئة:** من فحول الشعراء، عرف بشره وسفهه. نظم قصيدة هجا فيها الزبرقان فشكا أمره إلى عمر ابن الخطاب فحبسه في بئر فأنشد يقول:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ حُمْرِ الحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ؟

أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَاغْفِرْ، عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ يَا عُمَرُ[2]

فعفا عنه عمر شريطة أن لا يعود إلى الهجاء ثانية.

المطلب الثالث: في العصر الأموي

مع نهاية عهد الخلفاء الراشدين وبداية عهد الأمويين تغيرت أوضاع الدولة الإسلامية فانتقلت عاصمة الخلافة إلى دمشق وأصبحت الخلافة وراثية من أموي إلى آخر، وعرف هذا العصر انقسام المسلمين إلى فرق كما كثرت في تلك الفترة الخلافات والنزاعات السياسية وازداد التنكيل بالعلويين والهاشميين منهم خاصة، وأضحى السجن والتعذيب ليس بالأمر الغريب فكان وسيلة يعتمدها الحكام في تصفية كل معارض لهم، وشمل السجن كل طبقات المجتمع وتعددت الأسباب المؤدية إلى السجن كمخالفة أحكام الشريعة الإسلامية ومعارضة الحكام والتطاول على الخليفة وهجائه كما لم

[1] ينظر واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية – ص: 129، 130.

[2] المرجع نفسه – ص: 133.

تغب في هذا العصر المكائد والحيل التي تفضي بسجن الأبرياء وقتلهم[1]. وقد عرف سجن بني أمية العديد من القصائد التي سقيت بالأسى العميق والحزن والوحدة والشعور الكبير بالظلم، كما حملت بعض القصائد مظاهر الاعتزاز والفخر بالرغم من أنها نظمت في السجن.

● **عبيد الله بن الحر الجعفي**: ينتمي إلى بني مذحج تميز بصلاحه والتزامه بدينه وشجاعته واستقلاله بأمره، فكان لا يخضع لأوامر الأمراء وهذا كان سببا في سوء علاقته بهم مثل: معاوية وعلي ابن زيد والمختار الثقفي، كانت شخصيته تمنعه من غض بصره عما لا يروقه من أفعال الأمير مصعب بن الزبير، وكذا ابتعاده عن ساحة المنافسات السياسية سببا في التباعد بينه وبين الأمير وهذا ما فتح المجال أمام أعدائه لنسج المكائد له وزجه في السجن، الأمر الذي بث في نفسه الشعور بالأسى والحزن واليأس والاستياء الواضح في شعره الذي حمل مشاعره وأماله الخائبة في ما حل به يقول[2]:

مـــن مُبْلِـــغُ الفِتْيَـــانِ أَنَّ أَخَـــاهُمُ ... أَتَـــى دُونَـــهُ بَابٌ شَـــدِيدٌ وَحَاجِبُـــهْ

بِمَنْزِلَـــةٍ مَـــا كَـــانَ يَرْضَـــى بِمِثْلِهَـــا ... إِذَا قَـــامَ عَنَّتْـــهُ كبـــولٌ تُجَاوِبُـــهْ

عَلَى السَّاقِ فَوْقَ الكَعْبِ أَسْوَدُ صَامِتٌ ... شَـــدِيدٌ يُـــدَانِي خَطْـــوَهُ وَيُقَارِبُـــهْ

وَمَـا كَـانَ ذَا مِـنْ عُظْـمِ جُـرْمٍ جَنَيْتُـهُ ... وَلَكِـنْ سَـعَى السَّـاعِي بِمَـا هُـوَ كَاذِبُـهْ

وَقَـدْ كَـانَ فِي الأَرْضِ العَرِيضَـةِ مَسْـلَكٌ ... وَأَيُّ اِمْـرِئٍ ضَـاقَتْ عَلَيْـهِ مَذَاهِبُـهْ

وَفِي الـــدَّهْرِ وَالأَيَامِ لِلْمَـــرْءِ عِبْـــرَةٌ ... وَفِيمَـــا مَضَـــى إِنْ نَابَ يَوْمًـــا نَوَائِبُـــهْ

والملاحظ في هاته الأبيات تصوير الشاعر للسجن بالإشارة إلى بابه الشديد والحاجب الذي يقف عليه مبديا رغبته في إعلام فتيانه بأمر سجنه علهم يغيثونه حيث يذكر أنه سبق وأنقذ زوجته من سجن المختار بمساعدة فتيانه، ويصف أيضا القيود والأغلال الثقيلة التي شدت بها

[1] ينظر واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية – ص: 41.

[2] المرجع نفسه – ص: 136، 137.

أقدامه فأثقلت حركته، مشيرا إلى الظلم الذي لحق به بسبب وشاية كاذبة خرجت من أفواه معادية تسعى خلف المكانة العليا لا غير، وفي الأخير يلوم نفسه لاتباعه ابن زبير. ويقول ابن الحر في موضع آخر يستنكر فيه سياسة مصعب واستبعاده له والشك فيه والحكم عليه واستبداله بغيره مما أضعف حكمه[1]:

أَتَطْعَنُ فِي دِينِي غَدَاةَ أَتَيْتُكُمْ وَلِلدِّينِ تُدْنِي البَاهِلِيَّ وَحَشْرَجَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المُلْكَ قَدْ شِينَ وَجْهُهُ وَنَبْعُ بِلَادِ اللهِ قَدْ صَارَ عَوْسَجَا

وانتهى الأمر بابن الحر حرا طليقا بعد أن شفع له بني مذحج لدى مصعب.

- **الفرزدق:** يعد أبرز شعراء النقائض إلى جانب جرير والأخطل اتصف باعتزاز وفخره الكبير بأمجاد قومه ويتجلى هذا من خلال قصائده المرتكزة على الفخر بالدرجة الأولى، تميز شعره بالجزالة والألفاظ الخشنة. كان سوء العلاقة بين بني تميم وخالد القسري اليمني سببا في دخول الفرزدق للسجن فقد قام هذا الأخير بهجاء خالد القسري بسبب قتله لعمر الأسيدي زعيم بني تميم وقد زاد هذا الأمر غضب الفرزدق وحقده وحدة هجائه مستغلا ما عرف عن أصل أمه (**خالد القسري**)، يقول:

أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ أَتَتْنَا تُهَادِي مِنْ دِمَشْقَ بِخَالِدَ

وَكَيْفَ يُؤَمُ النَّاسُ مَنْ كَانَتْ أُمُّهُ تَدِينُ بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِوَاحِدِ

بَنَى بَيْعَةً فِيهَا الصَّلِيبُ لِأُمِّهِ وَهَدَمَ مَنْ كَفَرَ مَنَارَ المَسَاجِدِ

[1] ينظر واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية – ص: 136، 137، 138.

وكان غرور الفرزدق واعتداده الكبير بقومه أحد أسباب إسرافه في الهجاء[1] فلم يسلم من هجائه أحد بما في ذلك هجاؤه لنهر أمير المؤمنين وقد كان محفله الحبس على يد مالك ابن منذر لقوله:

أَهْلَكْــتَ مَــالَ اللهِ فِي غَيْــرِ حَقِّــهِ عَلَـى نَـهْرِكَ الـمَشْؤُومِ غَيْـرَ الـمُبَارَكِ

وقد رمى السجن كل مغرور بسهم يخترق غروره فيهذب نفسه وهذا ما آل إليه الفرزدق فانتهج مسار الاستعطاف والمديح بقوله في مدح مالك:

إِذْ مَالِــكُ أَلْقَــى العَمَامَــةَ فَاحْــذَرُوا بَــوَادِرَ كَفَّــيْ مَالِــكٍ حِــينَ يَغْضَــبُ

فَإِنَّهُمَــــا إِنْ يَظْلِمَــــاكَ، فَفِيهِمَــــا نَكَالٌ لِعُرْيَانِ العَذَابِ عَصَبْصَبُ[2]

ورغم ما نظم الفرزدق من قصائد إلا أنه لم ينل منه شيئا فلجأ إلى القسم وذلك بتصوير سوء حاله في السجن فيقول:

حَــلَفْتُ بِــرَبِّ الجَارِيَــاتِ إِذْ جَــرَتْ وَحَيْــثُ دَنَــتْ مِــنْ مَـرْوَةَ البَيْــتِ زَمْـزَمُ

لَــمَا زَادَنِــي مِـنْ خَشْـيَةٍ، إِذْ حَبَسَـتْنِي عَلَـى الـخَشْيَةِ الأُولَى الـتِي كُنْـتَ تَعْلَـمُ[3]

المطلب الرابع: العصر العباسي

شهد هذا العصر تطورا كبيرا في مختلف جوانب الحياة السياسية، الاجتماعية، الثقافية.. وقد عرف المجتمع العربي ظهور بعض الأمور الدخيلة وغير المألوفة في العصور السابقة وذلك بتأثير الأمم الأخرى، مثل ظهور الحجاب والحراس حيث أصبح الخليفة العباسي محاطا بعدد منهم وقد شكل هذا حاجزا بين الخليفة والرعية وأضحى هذا الأخير يلاقي صعوبة في لقاء الخليفة

[1] ينظر واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية- ص:139.

[2] المرجع نفسه- ص: 141.

[3] المرجع نفسه- ص: 142.

مباشرة إلا بعد لقاء الحاجب وعرض مطلبه عليه أولا وهذا شبيه بحكم الدولة الساسانية، إلى جانب ظهور الوزارة وقد عرف الوزير في تلك الفترة باسم الكاتب أو المشير متبعة الدولة الفارسية[1].

اتسم الحكم في هذه الفترة بالاستبداد والاضطهاد حيث استفرد بنو العباس به دون غيرهم وغدا كل شخص في الدولة مكرسا لخدمة الخليفة الذي قام بفرض سلطانه على الدولة بأكملها يتبين من هذا أن فخامة وعظمة الدولة العباسية وازدهارها في كل المجالات قائم بالدرجة على تقليد الدولة المتطورة التي تزامن وجودها معها والسير على منهجها المتقدم. لم يخرج السجن عن حركة التطور والتغيير التي عرفها هذا العصر حيث اختلفت هندسته العمرانية فأصبح شبيها بسجون الفرس والروم بأبوابه السرية وحراسه إلى جانب ذلك تم تصنيف السجناء حسب الجرم المرتكب وتخصيص زنزانة لكل فئة، وكان الهدف من ذلك هو الحد من الجريمة وعدم تفشي الانحلال الخلقي وسط المساجين بعكس العصر الأموي أين كان يتم وضع جميع المساجين في مكان واحد، ومن أهم السجون التي وضعتها الدولة العباسية:

سجن الجرائم: سجن خاص بمجرمي القتل والسلب، كان لهذا السجن مهمة ثانية يعتمدها الخليفة في سياسته فكان إذا أراد ترويع أو إهانة شخص ما يقاد إلى سجن الجرائم ومن أمثلة ذلك ما وقع للشاعر **أبي العتاهية** الذي توقف عن الشعر فأمر **المهدي** بزجه في هذا السجن الذي يقع في **الرصافة**.[2]

سجن الزنادقة: وهو خاص بالمارقين من الدين والذين جهروا بالمعاصي والمحرمات ويقع في مدينة المنصور وتم فصل هذه الفئة عن باقي المساجين تجنبا لتأثيرهم على بقية المساجين أو التشهير بهم كما كان يتم وضع بعض السياسيين في هذا السجن من أجل التشكيك في عقيدتهم. وخصص

[1] ينظر سكينة قدور: الحبسيات في الشعر العربي- أطروحة دكتوراه- جامعة منتوري- قسنطينة- الجزائر- 2006م/ 2007م- ص:43.

[2] المرجع نفسه – ص: 43، 44.

للثائرين والمعارضين للسلطة الحاكمة سجن في باطن الأرض رفع فوقه منارة شبيه بالجب مجوف من باطنه، وبه مدرج جعل فيه مستراحات وكل مستراح ضيق يجلس فيه شخص واحد مكبوبا على وجهه لا يتحرك فيه براحة. وأشار **المقريزي** إلى سجن بمصر مخصص للأمراء والولاة ولمن وجب عليه القتل أطلق عليه اسم **خزانة البنود**[1].

كما خصصت بعض القلاع للسجن إضافة إلى بعض القصور العباسية التي احتوت على سجون داخلية، وتم اعتماد هذه السجون الداخلية في الفترة التي وهنت فيها قوة الدولة وكثرت الانقلابات والمكائد إلى جانب ذلك تم تحويل بعض الأديرة القديمة والأماكن البعيدة عن المدن إلى معسكرات وسجون مثل: **دير بن عامر، دير حز قيال، دير القائم**.

عرف العديد من السياسيين والمعارضين الويلات في ظل الحكم العباسي وبالأخص العلويين الذين عرفوا أنواعا من العذاب والتنكيل في السجون العباسية، ولم تسلم فئة الأدباء والشعراء من اضطهاد بني العباس وأشار عبد العزيز الحلفي إلى ما يقارب الأربعين[2] شخصية بارزة تم الإلقاء بها في السجون العباسية ويتجلى ذلك من خلال الإنتاج الأدبي الوفير الذي جسد المعاناة وخلدها عبر التاريخ وليس هذا وحسب بل كشف عن الجانب المظلم من العصر الذهبي الذي عرفه التاريخ العربي وإن وفرة هذا الإنتاج تدل على العدد الهائل لطبقة الأدباء الذين سجنوا في تلك الفترة.

تعددت واختلفت أسباب السجن في العصر العباسي عنها في العصور السابقة إذ يمكننا القول أن هذا العصر تفرد بأسبابه وأغراضه فمعظم تلك الأسباب ارتبط بهذا العصر مباشرة أما فيما يخص أغراضه فلا تختلف عن الأغراض التي تبناها الشعراء القدماء ومن أبرز الشعراء الذين تم القاؤهم في السجن باختلاف الأسباب نذكر:

[1] ينظر أحمد مختار البزرة: الأسر والسجن في شعر العرب- ص: 121.

[2] ينظر سكينة قدور: الحبسيات في الشعر العربي- ص: 45.

- **أبو نواس:** وقد عانى هذا الشاعر من القسوة والظلم في ظل الدولة العباسية وذلك بسبب هجائه الدائم لهم في أشعاره وكان هذا كافيا لإشعال نار الحقد في قلوب العباسيين تجاهه واتهامه بالزندقة وشرب الخمر وزجه في السجن، وهذا ما حصل حيث وضعه الأمين في سجن الزنادقة، ومما قاله في السجن:

لَا العُـذْرُ يُقْبَـلُ لِـي، وَيَقْـرِقُ شَـاهِدِي مِـنْهُمْ، وَلَا يَرْضَـونَ حَلْـفَ يَمِينِـي

أَمَـا الأَمِيـنُ فَلَـسْـتُ أَرْجُـو دَفْعَـهُ عَنِّـي؛ فَمَـنْ لِـي اليَـوْمَ بِالْـمَأْمُونِ؟ [1]

اعترف الشاعر في قصائده بمجونه وفي نفس الوقت نفى عن نفسه تهمة الزندقة لأن هذه الأخيرة ليست مثل المجون فهو يصرح بارتكابه معصية لكنه لم يكفر بالله عز وجل، فيناجي الله ويشكو إليه ظلم قومه وجورهم من خلال قصيدته التي يقول فيها:

يَا رَبِ إِنَّ الْقَـوْمَ قَـدْ ظَلَمُونِـي وَبِـلَا اقْـتِـرَافِ مُعَـطِّلِ حَبَسُونِـي

وَإِلَى الـجُحُودِ بِـمَا عَلَيْـهِ طَوِيَّتِـي رَبِـي إِلَيْـكَ بِكَذِبِـهِمْ نَسَبُونِـي

مَـا كَـانَ إِلَّا الـجَرْي فِي مَيْدَانِـهِمْ فِي كُـلِّ خِـزْيٍ، وَالـمِجَانَةُ دِيْنِـي [2]

- **أبو العتاهية:** يعد من أبرز شعراء العصر العباسي عرف بورعه وزهده وكان الزهد والابتعاد عن قول شعر الغزل سببا في دخول العديد من الشعراء على غرار أبي العتاهية فقد كان يعتبر في بعض الحالات عصيانا. وكل شاعر يأمره الخليفة بأن يلقي على مسامعه قصائد غزلية ويرفض ذلك يرمى في ظلمة السجن ليشهد العذاب والمعاناة مثل ما حدث مع أبي العتاهية الذي اعتزل مجالس الخليفة هارون الرشيد وشعر غزل وانشغل عنه بعبادة الله عز وجل، وتسبب هذا في سجنه حيث أمره هارون الرشيد بقول شعر في الغزل فأبى أبو العتاهية قول الغزل خوفا من غضب الله عز

[1] سمية حسن علي الرقيبات: الرؤية والتشكيل الجمالي في شعر الأسر والسجن في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري- رسالة ماجستير- جامعة آل البيت- 2012م/ 2013م- ص:9.

[2] المرجع نفسه - ص:10.

وجل والتزاما منه بورعه فأمر بحبسه وما كان من أبي العتاهية إلا أن يحاول تحرير نفسه مما آل إليه فأنشد غزلا خفيفا:

وَكَلَّفْتَنِي مَا حُلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَقُلْتُ سَأَبْغِي مَا تُرِيدُ وَمَا تَهْوَى

فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانِ كَلَّفْتُ وَاحِدًا هَوَاكَ، وَكَلَّفْتُ الْخَلِيَّ لِمَا يَهْوَى[1]

وسعى من خلال شعره إلى استعطاف الخليفة وطلب العفو منه علّه يحرره من سجنه مادحا إياه وشاكيا حالته المزرية ومعاناته من وحشة السجن يقول في ذلك:

أَرِقْتُ، وَطَارَ عَنْ عَيْنِي النُّعَاسُ، وَنَامَ السَّامِرُونَ، وَلَمْ يُؤَاسُوا

أَمِينَ اللهِ! أَمْنُكَ خَيْرَ أَمْنٍ عَلَيْكَ مِنَ التُّقَى فِيهِ لِبَاسُ

تُسَاسُ مِنَ السَّمَاءِ بِكُلِّ بِرٍّ، وَأَنْتَ بِهِ تَسُوسُ كَمَا تُسَاسُ

كَأَنَّ الْخَلْقَ رَكْبٌ فِيهِ رُوحٌ، لَهُ جَسَدٌ، وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَاسُ

أَمِينُ اللهِ إِنَّ الْحَبْسَ بَاسُ، وَقَدْ وَقَعْتَ لَيْسَ عَلَيْكَ بَاسُ[2]

وعند سماع الرشيد للقصيدة عفا عنه.

● **أبو فراس الحمداني:** يعد أشهر شعراء السجون وعرف برومياته، تميز بشجاعته واعتزازه بأرضه ودفاعه الشرس عنها، تولى الدفاع عن مدينة منبج ضد الغزاة بتكليف من سيف الدولة ولم تدم انتصاراته حيث اصطدم بشبح الأسر على أيدي الروم وقضى سنوات في السجن ونظم في تلك الفترة الكثير من القصائد الشعرية التي عكست ألمه ومعاناته واستيائه لابتعاده عن الميادين التي لعب فيها دورا فعالا كأمير وقائد كما يشكو الحالة التي آل إليها من العزة في أرضه إلى المذلة والهوان على أيدي الروم، يقول في هذا الباب:

---

[1] سمية حسن علي الرقيبات: الرؤية والتشكيل الجمالي في شعر الأسر والسجن في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري – ص:11.

[2] المرجع نفسه – ص:11.

إِلَى اللهِ أَشْـــكُو أَنَّنَـــا بِـــمَنَازِلِ تَـــحَكَّمُ فِي أَسَـــادِهِنَّ كِـــلَابُ
تَـمُرُّ اللَّيَالِـي لَـيْسَ لِلنَّفْـعِ مَوْضِـعُ لَـــدَيَّ، وَلَا لِـلْـمُـعْـتَـفِـينَ جَنَابُ[1]

كما عبر في قصائده عن الآلام والجروح التي خلفتها عليه الحروب والتي دامت طويلا حتى اندملت، يقول:

وَلَا تَصِـفْنَّ الْـحَرْبَ عِنْـدِي فَإِنَّـهَا طَعَامِي مُذْ بِعْتُ الصِّبَا وَشَرَابِي
وَقَـدْ عَرَفـت وَقْـعَ الْـمَسَامِيرِ مُهْجَتِـي وَشَـقّق عَـنْ زُرْقِ النُّصُـولِ إِهَابِـي [2]

ورغم استيائه من وقوعه أسيرا بأيدي الغزاة إلا أننا نجده شامخا مفتخرا في قصائده حيث يقول:

أَرَاكَ عَصِـيَّ الـدَّمْعِ، شِـيْمَتُكَ الصَّـبْرُ، أَمَـا لِلْهَـوَى نَـهْيٌ عَلَيْـكَ وَلَا أَمْـرُ
بَلَـى، أَنَا مُشْـتَاقٌ، وَعِنْـدِي لَوْعَـةٌ، وَلَكِـنَّ مِثْلِـي لَا يُـذَاعُ لَـهُ سِـرُّ !

ويقول أيضا:

يَقُولُـونَ لِـي:" بِعْـتَ السَّـلَامَةَ بِالـرَّدَى" فَقُلْتُ: أَمَا وَاللهِ، مَا نَالَنِي خُسْرُ
فَهَـلْ يَتَجَافَـى عَنِّـي الـمَوْتَ سَـاعَةً إِذَا مَـا تَجَافَـى عَنِّـي الأَسْـرُ وَالضُّـرُ؟[3]

ولم تخل قصائده من الاستنجاد والاستغاثة فنجده في بعض أبياته يعاتب سيف الدولة لتأخره في تحريره من الأسر ويدعوه للإسراع في تخليصه باعثا له أحزان غربته وبعده عن أرضه وأمه العجوز التي زادها فراق فلذة كبدها ألما على ألم، ويقول في هذا:

[1] ينظر سمية حسن علي الرقيبات: الرؤية والتشكيل الجمالي في شعر الأسر والسجن في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري –ص: 19.
[2] المرجع نفسه – ص:19.
[3] المرجع نفسه– ص: 18.

يَا حَسْـــرَةً مَـــا أَكَـــادُ أَحْـــمِلُهَا آخِـرُهَـــا مُـــزْعِـــجٌ وَأَوَلُـــهَـــا!
عَلِيلَـــــةٌ، يَالشَـــــآمِ مُفْـــــرَدَةٌ، بَـــــاتَ بِـــــأَيـدِي الْعِـدَا مُـعَلِّلُـهَـا

ويقول مستعطفا سيف الدولة:

دَعَوْتُـــكَ لِلْجَفْـــنِ القَـــرِيحِ الـــمُسَهَّدِ لَـــدَيَّ وَلِلنَّـــوْمِ القَلِيـــلِ الـــمُشَرَّدِ
وَلَسْـــتُ أُبَالِـــي إِنْ ظَفِـــرْتُ بِـــمَطْلَبٍ، يَكُونُ رَخِيصًا، أَوْ يُوسَمُ مُزَوَّدِ
وَتَأْبَـــى وَآبَـــى أَنْ أَمُـــوتَ مَوَسَّـــدًا بِأَيْدِي النَّصَارَى مَوْتَ أَكْمَدَ، أَكْبَدِ[1]

المطلب الخامس: الأندلس

شمل مكوث العرب المسلمين الأندلس فترة يغزوها الازدهار والتألق. وقد انعكس هذا على الجانب السياسي والعسكري إضافة إلى الفني والأدبي.

يقابل الجانب الأدبي والفني في الأندلس الشعر حيث اشتهرت البيئة الأندلسية بمثقفيها وعلمائها وشعرائها خاصة ذوي المناصب العليا الذين ساهموا في صنع القرارات السياسية من ملوك و وزراء وأمراء غير أن هذه الأخيرة كانت الدافع الرئيسي لزجهم في السجن بانتقالهم من حياة العز والقصور إلى الذل والهوان، فقد عاش الشاعر الأندلسي في زاوية مظلمة حاول اختراق حدودها بممارسة الكتابة الشعرية حتى يستطيع الانعتاق من السجن ومن أبعاده المؤلمة.

وخير دليل على هذا جملة الشعراء الذين سعوا من خلال قصائدهم الى تجسيد حزنهم وآلامهم في صورة موحية نتطرق إلى بعضهم:

- **يحي الغزال:** هو يحي بن الحكم، لقب بالغزال لوسامته وظرفه، وكان لمميزاته الخَلقية والخُلقية الفضل في توليه بعض الأعمال الكبيرة في قرطبة في عهد عبد الرحمن الأوسط، وتميز أيضا

[1] ينظر سمية حسن علي الرقيبات: الرؤية والتشكيل الجمالي في شعر الأسر والسجن في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري- ص: 22.

بطبعه المتحرر الذي لم توقفه حدود أو حواجز ولم تضبطه قواعد وقوانين وقد بلغ بذلك درجة الاستهتار وكما هو معلوم إذا زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده وينطبق هذا مع الغزال فتحرره المفرط قضى على فرص الترفع[1]، ومن المناصب التي شغلها قبض الأعشار في عهد عبد الرحمن الأوسط، تصادف في تلك الفترة قلة الطعام وارتفاع سعر الحاصلات، فباع الغزال ما اختزنه من حاصلات كان قد جباها كأعشار للدولة واستبدل بها نقودا، وعندما علم الأمير بالأمر غضب وقال: إننا نعد ذلك لنفقات الجند والحاجة عند الجهد. وأمر بأن يؤخذ من الغزال الثمن الذي باع به الحاصلات، التي كثرت حينئذ ورخصت أسعارها، فأبى أن يدفع ثمنها قائلا: وإنما أشتري لكم من الطعام عدد ما بعدت من الأمداد. لما سمع الأمير بذلك أمر بسجنه، وقال الشاعر في محبسه بقرطبة قصيدة يمدح الأمير بها ويبرر سبب تصرفه محاولا التماس العفو من الأمير ومما جاء فيها:

مَـــنْ مُبْلِـــغٌ عَنِّـــي إِمَـــامَ الـــهَدى ... الـــــوَارِثَ الـــــمَجْدَ أَبًا عَـــــنْ أَبِ

أَنِّـــــي إِذَا أَطْنَـــــبَ مُدَّاحُـــــهُ ... قَصَـدتُ فِي الـــقَـولِ فَلَـــمْ أُطْـنِـبِ

لَا فَـــــكَّ عَـــــنِّي اللهِ إِنْ لَمْ تَكُـــــن ... أَذكَرتَنَـــا مـــن عُـمَـــرَ الـطَّيِّـــبِ

وقال أيضا:

إِلَى جَمِيـــــلِ الوَجْـــــهِ ذِي هَيبَـــــةٍ ... لَيسَتْ لِحَامِي الغَابَةِ المُغضَبِ

لَا يُـــــمكِنُ النَّـــــاظِرَ مِـــــنْ رُؤيَـــــةٍ ... إِلَّا التِمَـــــاحَ الـــــخَائِفِ الـــــمُذْنِبِ[2]

[1] ينظر أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة- دار المعارف- القاهرة- د. ط- 1985م- ص: 153.

[2] المرجع نفسه- ص: 154.

وقال حول مصابه وما حل به:

إِنْ تُـــرِدِ المَـــالَ فَـــإِنِّي اِمْـــرُؤٌ لَـمْ أَجْـمَعِ الـمَالَ وَلَـمْ أَكْسِـبِ

إِذَا أَخَـــذْتَ الحَـــقَّ مِـــنِّي فَـــلَا تَلْـــتَمِس الـــرِّبْحَ وَلَا تَرْغَـــبِ

قَـــدْ أَحْسَـــنَ اللهُ إِلَيْنَـــا مَعًـــا إِنْ كَـــانَ رَأْسُ المَـــالِ لَمْ يَـــذْهَبِ[1]

ولما بلغت هذه القصيدة مسامع الأمير عفا عنه و ولاه منصبا ذا شأن في الدولة.

- **يوسف بن هارون الرمادي (أبو عمر)**: أحد فحول شعراء الأندلس حظي بشهرة كبيرة في زمنه إلا أنه لم ينل المكانة التي تليق بشعره في عصرنا نظرا لضياع معظم دواوينه الشعرية، شهد فترة اضطراب كيان الدولة الأموية بالأندلس ثم ارتقائها للذروة مع عبد الرحمن الناصر الذي قضى على كل ما يخل بأمن الدولة، عرف الرمادي بمجونه ولهوه وقد كان هذا الأمر سببا في دخول العديد إلى السجون ومنهم فئة الشعراء منهم يوسف بن هارون الذي كان مطلوبا، وحسب ما يروى أنه بعد أن ضاقت به السبل ولم تسعه الأرض استسلم لحتفه وأهدى نفسه كعبد وسجن بالزهراء وبقي عدة أشهر محبوسا إلى أن عفا عنه الخليفة، إلا أن فرحته لم تدم طويلا فسرعان ما أعيد سجنه مرة أخرى بتهمة الإساءة إلى الخليفة وذلك بهجائه له بقصيدة شعرية يقول في بيت منها:

يُـــوَلَى وَيُعْـــزَلُ مِـــنْ يَوْمِـــهِ فَـــلَا ذَا يـــتم وَلَا ذَا يـــتم[2]

ويرجح أن مدة سجنه دامت أكثر وذلك اعتمادا على ما خلفه من إنتاج أدبي كتبه في السجن ومنه كتاب شعري سماه **"كتاب الطير"** موزع على عدة أجزاء وتطرق من خلاله إلى وصف الطيور المعروفة[3] وذيل كل قطعة بمدح ولي العهد هشام مستشفعا إلى أبيه في العفو عنه، إلا

[1] أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة – ص: 154.

[2] محمد زكريا عناني: تاريخ الأدب الأندلسي– دار المعرفة الجامعية– قناة السويس– د. ط– 1990م– ص: 90.

[3] ينظر المرجع نفسه– ص: 90.

أن هذا الكتاب ضاع كما ضاع ديوانه الشعري ولم يبق منه إلا القليل ومما تم الحفاظ عليه من هذا الكتاب بعض المقاطع الشعرية منها قوله في الحمامة:

أَذَاتَ الطَّـــوْقِ فِي التَّغْرِيـــدِ أَشْـــهَى إِلَى أُذُنِي مِنَ الوَتَرِ الفَصِيحِ

إِذَا هَتَفَـــتْ عَلَـــى غُصْـــنٍ رَفِيـــعٍ بِنُـــوحٍ أَوْ عَلَـــى غُصْـــنٍ مُـــرِيحِ

تَضُـــمُّ عَلَيْـــهِ مِنْقَـــارًا وَنَحْـــرًا كَمَـا خَـرَ الفَجِيـعُ عَلَـى الضَـرِيحِ[1]

ويقول أيضا في الحمامة:

أَ حَمَامَـــةَ فَـــوْقَ الأَرَاكَـــةِ بيـــني بِحَيَـــاةِ مَـــن أَبْكَـــاكِ مَـــا أَبْكَـــاكِ؟

أَمَّـا أَنَا فَبَكَيْـتُ مِـنْ حُـرْقِ الهَـوَى وَفِـرَاقِ مِـنْ أَهْـوَى أَ أَنْـت كَـذَاك؟[2]

يبدو لنا من خلال كتاب الطير الذي ألفه الرمادي هو انعكاس لما يختلج في نفسه من رغبة قوية في التحرر والخروج من السجن الذي وضع فيه فغالبا ما يرمز الطير إلى الحرية والاستقلال وربما هذا هو السبب وراء اختيار الرمادي له كمادة أساسية في نسج خيوط قصائده والتي لم يبق منها سوى بعض المقاطع الشعرية التي وصلت إلينا ومنها هذه الأبيات.

ومن القصائد التي نظمها أيضا في السجن نجد بعض المقطوعات الشعرية التي نجت من شبح الضياع الذي فتك بمعظم قصائد الرمادي والتي حملت بين أبياتها شعوره بالعزلة[3] عن العالم الذي عاش فيه وانقلاب حياته من لهو ومجون إلى وحدة وألم وحزن وشوق إلى حرية لطالما امتلكها وتمتع بها كما حمل شعره تحمله وصبره على معاناة السجن، يقول:

أَعَيْـــنِي إِنْ كَانَـــتْ لِـــدَمْعِكِ فُضْـــلَة تُثْبِـــتُ صَـــبْرِي سَـــاعَةً فَتَـــدَفَقِي

فَلَـوْ سَـاعَدت قَالَـتْ أَمِـنْ قِلَّـةِ الأَسَـى تَبَقَتْ دُمُوعِي أَمْ مِنَ البَحْرِ تَسْتَقِي[4]

[1] ينظر محمد زكريا عناني: تاريخ الأدب الأندلسي – ص: 91.

[2] المرجع نفسه – ص: 91.

[3] المرجع نفسه – ص: 91.

[4] المرجع نفسه– ص: 92.

يصف الشاعر من خلال هذين البيتين حزنه الشديد بسبب سجنه وتحمله لوحشته وبرودته القاسية التي تقشعر لها المشاعر قبل الأبدان.

● **المعتمد بن عباد:** "إثر سقوط الخلافة الأموية سطع نجم بني عباد على مملكة إشبيلية بحيث فرضوا سلطتهم ودام حكمهم مدة طويلة من الزمن، تميزوا فيها بالاستبداد والقهر والظلم في أقسى صوره وقد جاء في بعض كتب التاريخ أن قصر المعتضد بن عباد كان مليئا بالعديد من أعمدة الخشب التي حملت رؤوس ضحاياها من رجال الأندلس"[1]، وخلف المعتضد ابنه المعتمد ابن عباد الذي كان شاعرا وأميرا في آن واحد، الذي تمرس منذ شبابه على الأعمال العسكرية والسياسية، كما عرفت فترة حكمه اتساعا في الرقعة الجغرافية، وامتد حكمه ليصل إلى قرطبة ومرسية وما فتئت الخيانة أن تسللت إلى بلاطه وقلبت حياته من عز وشموخ إلى ذل ورضوخ حيث كان لرفيقه ابن عمار يد في سقوطه من عرشه الذي تواطئ مع ملوك الفرنجة خاصة ألفونسو السادس إضافة إلى الامتداد البربري ومع ازدياد الحروب والفتن بدأت مدن الأندلس تتساقط واحدة تلو الأخرى في أيدي الجيوش البربرية إلى أن وصلت إلى المعتمد ابن عباد[2] تم سياقه وزوجاته وأبنائه إلى عاصمة البربر، وقال في ذلك الموقف متأسفا على حاله وما آل إليه مفضلا تجرع السم والموت على عيش تلك اللحظة المخزية والتحول من خليفة يؤتمر بأمره إلى أسير يساق ذليلا مكسورا منهزما:

لَمَـــــا تَمَاسَـــــكَتْ الـــــدُّمُوعُ ... وَتَنَبَّـــــهَ القَلْـــــبُ الصَّـــــدِيعُ

قَـــــالُوا الخُضُـــــوعُ سِيَاسَـــــةٌ ... فَلْيَبْـــــدُو مِنْـــــكَ لَهُـــــمْ خُضُـــــوعُ

وَأَلَـــــذُ مِـــــنْ طَعْـــــمِ الخُضُـــــو ... عِ عَلَـــــى فَمِـــــي السُّـــــمُ النَّقِيـــــعُ

إِنْ يَسْـــــلُبُ القَـــــوْمُ العِـــــدَا ... مُلْكِـــــي وَتَســـــلمُنِي الجُمُـــــوعُ[3]

[1] محمد زكريا عناني: تاريخ الأدب الأندلسي- ص: 111.

[2] ينظر المرجع نفسه- ص: 114، 115.

[3] المرجع نفسه - ص: 115.

ومن أروع ما قال المعتمد بن عباد في السجن قصيدة يناجي فيها الأغلال التي تكبله وأطفاله الذين ينظرون إليه في أسى وحزن:

قَيْـــدِي أَمَـــا تَعْلَمُـــنِي مُسْـــلِمَا أَبَيْـــتَ أَنْ تُشْـــفِقَ أَوْ تَـــرْحَمَ
دَمِـــي شَـــرَابٌ لَـــكَ وَاللَّحْـــمُ قَـــدْ أَكَـلْـتَـهُ لَا تَـهْـشِـم الأَعـظـمَـا
يُبْصِـــرُنِي فِيـــكَ أَبُـــو هَاشِـــمٍ فَيَنْثَـــنِي القَلْـــبُ وَقَـــدْ هَشُـــمَا
اِرْحَـــمْ طُفَـــيْلًا طَائِشًـــا لبـــه لَمْ يَخْشَ أَنْ يَأْتِيكَ مُسْتَرْحِمَا
وَارْحَـــمْ أُخَيَّـــاتٍ لَـــهُ مِثْلُـــهُ جَـــرَّعْتَهُنَّ السُّـــمَ وَالعَلْقَمَـــا
مِـــنْهُنَّ مَـــنْ يَفْهَـــمُ شَـــيْئًا فَقَـــدْ خِـفْـنَ عَـلَـيْـهِ لِـلْـبُـكَـاءِ الـعَـمَى
وَالغَيْـــرُ لَا يَفْهَـــمُ شَـــيْئًا فَمَـــا يَفْـــتَحُ إِلَّا لِلرِّضَـــاعِ فَمَـــا[1]

تعكس لنا هذه الأبيات أبا كسرته ظروف الحياة الصعبة وتقلباتها التي رمت به في سجن العدو وأخذته من العز إلى الذل، وما زاد ألمه وحزنه رؤيته لأولاده الأسرى وشعوره بالعجز على تغيير واقعهم المر وتحريرهم مما هم فيه، وهذا ليس غريبا فأصعب شعور بالنسبة للرجل شعوره بعجزه أمام أبنائه وهو الذي طالما كان بر الأمان. القارئ لهذه الأبيات الشعرية لا يرى شاعرا ذو قدرة فنية عالية على نظم الشعر فقط بل يرى أبا بلغ حزنه ويأسه درجة تفوق صبره بسبب عدم قدرته على إنقاذ فلذات كبده، كما تبرز لنا هذه الأبيات جانبا من الحياة آنذاك وخاصة في الحروب، على الرغم من انتشار الإسلام في تلك الحقبة إلا أنها لم تفرق بين الكبير والصغير، والذكر والأنثى وهذا جلي من خلال الأبيات الأربعة الأخيرة التي يشير فيها الشاعر إلى ما حل بأبنائه وبناته ومعرفة البعض بوضعهم وجهل البعض الآخر وذلك راجع لصغر سنه، فهذا الأمر تقشعر له النفوس قبل الأبدان وتنغمر العيون بالدموع حزناً على ما أصاب الشعوب عموما والأطفال خصوصا قديما للأسف لا زال يحدث لحد الساعة.

[1] محمد زكريا عناني: تاريخ الأدب الأندلسي – ص: 119.

المبحث الثالث: شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر.

إن الظروف العصيبة التي مرت بها الأمة العربية والتكالب الاستعماري على نهب خيراتها كل هذا دفع العرب إلى الوقوف بكل عزيمة وإرادة للتصدي لهذا المحتل بالنضال وغرس الروح الوطنية في الأجيال اللاحقة[1]، فقد شملت المقاومة جميع فئات الوطن العربي وبالأخص المثقفين منه والشعراء بالدرجة الأولى الذين تجسدت مقاومتهم من خلال إنتاجهم الشعري فالقارئ لأعمال هؤلاء الشعراء يجد أن أكبر محنة وقعوا فيها هي السجن والنفي فمنهم من وقع رهن اعتقال السلطة المحلية والبعض الآخر وقع رهن سلطة الحروب، وتوجت هذه المأساة بمؤلفات شعرية خالدة في ذاكرة الزمان عكست مرارة ما عاشوه من ألم واضطهاد[2].

كان لصدق التجربة الذاتية للشاعر المتجلية في قصائده أثر في نفوس القراء حيث زعزعت ألفاظها كيان القارئ وأجبرته على الإحساس بمرارة السجن وما ينجر عنه دون الخوض في ذلك.

وفي شعرنا العربي الحديث والمعاصر أمثلة متباينة من الشعراء الذين كان السجن نقمة ونعمة عليهم في نفس الوقت فالأولى تمثلت في الألم؛ الذل؛ الاضطهاد؛ الظلم؛ الوحدة والظلام، والثانية تتجلى في إثراء إنتاجهم الشعري بتجربة جديدة. حاولنا جاهدين من خلال هذا المبحث تقديم عينة عن شعراء المشرق والمغرب ولم يكن الاختيار قائما على أساس المكان والزمان والكم وإنما طرح عشوائي.

المطلب الأول: شعراء المشرق والمغرب

- **محمود سامي البارودي:** أحد أهم شعراء الحركة الإحيائية في العصر الحديث وممن سعوا لإعادة بعث الشعر من جديد واسترجاع مكانته العريقة التي عرفها في العصور الذهبية. "تميز بعزة

[1] ينظر وهيب طنوسي: الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر ميلادي- د. ب- ط 1- 1975م/ 1976م- ص: 4.

[2] ينظر حليمة بوسعيد: صورة الوطن في شعر السجون محمود درويش أنموذجا- مذكرة ماستر- جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي- 2014م/ 2015م- ص: 15.

النفس وسمو الخلق والشجاعة والإخلاص في العمل، عاصر **الخديوي إسماعيل** تولى منصب وزير الأوقاف ثم الحربية"[1].

كان للحرب أثر كبير في حياة البارودي عموما وشعره خصوصا فهذه التجربة صقلت شعره وصبغته بلون المعاناة والألم وكل ما تخلفه الحرب في نفوس الأدباء من قوة وصلابة أمام العذاب مثل **الثورة العرابية** باعتباره أحد المسهمين فيها، انتهت بالإخفاق وإيداع قادتها السجن. ذاق الشاعر مرارة السجن قبل أن يتم نفيه إلى **سرنديب**.

لم يسر البارودي على منهاج مخالف للشعراء المساجين الذين سبقوه فكأي شاعر سواء كان معروفا أم مجهولا تسلب حريته ويرمى في غرفة مظلمة خالية من ملامح الحرية يتبع روحه فتتدفق الأشعار منه معربة عن أحزانه ومعاناته لفقدانه الحرية وفي الآن نفسه مبرزة قوته وجلده أمام عدوه الذي ينتظر لحظة ضعفه وهزيمته.

يعد السجن منبعا جديدا اغترف منه البارودي وسقى به عطش قصائده، داخل زنزانة مرعبة موحشة يملؤها الإحساس بالغربة، كان الشاعر يغطيه الظلام الدامس الذي زاد طول الليالي التي أثمرت هموما وأحزانا في قلبه[2] بتخليه عن النوم في سبيل رؤية نور الحرية، يقول في إحدى القصائد التي نظمها في السجن:

شَـــفَّنِي وَجْـــدِي وَأَبْـــلَانِي السَّـــهَرَ وَتَغَشَّـــــتْنِي سَمَـــــادِيرُ الكَـــــدَرِ
فَسَـــوَادُ اللَّيْـــلِ مَـــا إِنْ يَنْقَضِـــي وَبَيَـــاضُ الصُّـــبْحِ مَـــا إِنْ يُنْتَظَـــرْ
لَا أَنِـــيسٌ يَسْـــمَعُ الشَّـــكْوَى، وَلَا خَبَـــــرٌ يَأْتِي، وَلَا طَيْـــــفٌ يَمُـــــرُّ
بَـــــيْنَ جُـــــدْرَانٍ وَبَابٍ مُوصَـــــدٍ كُـلَّـمَـا حَـرَّكَـهُ الـسَّجَـانُ صَـبْـرُ[3]

[1] حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان، من الأدب السياسي- دار الحقائق- بيروت- لبنان- ط 1- 1986م- ص: 177.

[2] المرجع نفسه- ص: 177.

[3] المرجع نفسه- ص: 178.

رغم أحزان الشاعر لفراق أحبته وسلب حريته إلا أنه لم يجد منجدا أو مغيثا له باستثناء الصبر الذي يروي روحه ويمنحها قوة على مواجهة الوضع المحتوم والمفروض عليه الذي لا مهرب منه، حيث يقول:

فَاصْبِرِي يَا نَفْسُ! حَتَّى تَظْفَرِي إِنَّ حُسْنَ الصَّبْرِ مِفْتَاحُ الظَّفَرِ

هِيَ أَنْفَاسٌ تَقَضَّى، وَالفَتَى حَيْثُمَا كَانَ، أَسِيرٌ لِلْقَدَرِ[1]

- **أحمد الصافي النجفي**: شاعر ومناضل عراقي، كانت بدايته في نظم الشعر مع الثورة التي قادها **الشريف حسين** حيث نظم قصيدتين في مدح الشريف وتحية الأمة العربية الثائرة. اشترك في ثورة العراق ضد العدو الإنجليزي نجم عن ذلك ملاحقته من قبل الجيش الإنجليزي ثم اعتقاله ونفيه إلى إيران لسبع سنوات[2]. كان شعره شاهدا على الأحداث التي مر بها من فرار واعتقال، تشبعت قصائده بالروح الوطنية الثائرة المتحدية الرافضة لفكرة تقبل وجود الاستعمار والرضوخ له، كما جسدت البطولات الرائعة والتضحيات الجسيمة في سبيل حرية الوطن، يقول في بداية دخوله إلى السجن[3]:

رَمَوْنَا كَالبَضَائِعِ فِي سُجُونٍ وَعَافُوا وَلَمْ يُبْدُوا اِكْتِرَاثَا

رَمَوْنَا فِي السُّجُونِ بِلَا أَثَاثٍ فَأَصْبَحْنَا لِسِجْنِهِمْ أَثَاثَا

يبرز الشاعر من خلال هذين البيتين قيمة سجناء وأسرى الحرب في نظر المحتل فسكان البلد المستعمر لا يتعدون كونهم مجرد بضائع وضعت في السجون وهو بذلك ينفي صفة الإنسانية عن العدو الغاشم الذي داس على كل معاني الرحمة والإنسانية وانتزع أبسط حقوق غيره المتمثلة في

---

[1] حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان، من الأدب السياسي – ص: 178.

[2] ينظر رمضان رضائي: "أحمد الصافي النجفي وحبسياته"– دانشنامه–http://daneshnameh.srbiau.ac.ir – ص: 83.

[3] المرجع نفسه– ص: 179.

العيش بحرية في وطنه، الاستعمار أو الاستدمار لم يبد أي اهتمام بالشعب المحتل فتعامل معه باعتباره شيء جامد خال من الروح.

نرى في قصيدة أخرى أن الشاعر يقف موقف افتخار بسجنه فلم يره رمزا للذل والمهانة والرضوخ أو أمرا يستعر ويخجل منه بل عكس ذلك تماما حيث اعتبره دليلا على البسالة والتضحية في سبيل قضية مقدسة ألا وهي رفض الوجود الاستعماري واعتبار الباطل حقا والتنازل عن حقه الطبيعي بالعيش في وطن حر ومستقل، يقول في بعض أبياته:

أَهْـــلًا بِسِـــجْنِي لِشَـــهْرٍ أَوْ لِأَعْـــوَامِ فَإِنَّمَـــا يَـــوْمُ سِـــجْنِي تَاجُ أَيَّامِـــي
قَضَّـيْتُ حُـرًّا، حُقُـوقَ الـنَّفْسِ كَامِلَـةً وَاليَـوْمَ فِي السِّـجْنِ أَقْضِـي حَقَّ أَقْـوَامِي
إِنْ يَسْـجُنُونِي فَجُرْمِـي يَا لَـهُ شَـرَفًا أَنِّيَ أُحَـارِبُ قَوْمًـا أَهْـلَ إِجْـرَامِ
مُحَمَّـــدٌ كَسَّـــرَ الأَصْـــنَامَ شَـــامِخَةً مَنْ لِي بِتَكْسِيرِ لُورْدَاتٍ كَأَصْنَامِ
يَكْفِـيهُمْ حِطَّـةً أَنْ لَـيْسَ يَتْـبَعُهُمْ مِنَّا سِوَى كُلِّ مُنْحَطٍ وَنَمَّامِ[1]

وكذا الشاعر يؤمن بأن سجنه من قبل الاستعمار وسام شرف تقلده مقابل إخلاصه وتفانيه في حب الأرض والدفاع عنها بالكلمة.

استطاع الألم واليأس أن يتسلل إلى نفس الصافي للحظات إلا أنه لم يتمكن منه ومن عزيمته، كان هذا الشاعر يتخبط بين الأمل واليأس[2] فتارة نجده متفائلا متحديا بشعره المحتل مدافعا عن وطنه بشراسة مستفزا العدو وتارة أخرى نجده يائسا من خروجه وقد كادت الوحدة أن تنال منه، يتضح ذلك من خلال تصريحه بحزنه وألمه وشعوره بالعزلة والوحدة القاتلة في السجن، يقول:

[1] حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان، من الأدب السياسي- ص: 180.
[2] ينظر رمضان رضائي: "أحمد الصافي النجفي وحبسياته"- ص: 96.

خَلَا السِّجْنُ هَذَا اليَومَ مِنْ كُلِّ سَاكِنٍ سِـــوَايَ، كَـــأَنِّي مِنْـــهُ أُسُّ بِنَـــاء

فَجَـاءَ غُـلَامُ السِّـجْنِ يُبْـدِي تَعَجُّبَـا وَيَبْغِـي مِـنَ السَّـجَّانِ كَشْـفَ بَلَائِـي [1]

وعندما اشتد عليه المرض في السجن استغاث ولم يغثه أحد وإنما قوبل بالقسوة على يد سجانيه الأعاجم وأنشد في مرضه:

سُـجِنْتُ وَقَـدْ أَصْـبَحَتْ سَـلْوَتِي مِـنَ السَّـقَمِ، عِـدي الأَضْـلُعِ

أُعَـالِجُ بِالصَّـبْرِ بَـرْحَ السِّـقَامِ وَلَكِـنْ عِلَاجِـي لَمْ يَـنْجَحِ

أَتَانِي الطَّبِيـبُ وَوَلَّى سُـدىً وَرَاحَ الشَّـفِيعُ فَلَـمْ يَشْـفَعِ

وَكَـمْ قِيـلَ مَـدِّدْ مَـدَى الاصْـطِبَارِ وَمَهْمَـا عَـرَاكَ فَـلَا تَجْـزَعِ

وَكَـمْ ذَا أَمُـدُّ مَـدَى الاصْـطِبَارِ فَـإِنْ زِدْتُ فِي مَـدِّهِ يُقْطَـعُ

وَلَمَّـا بَكَـى سَـاجِنِي رَحْمَـةً أَجَـابُـوا الـتَّـشَـفُّـعَ لِـلْأَدْمُـعِ [2]

أطلق سراحه بمساعي حكومة بلده.

● **محمد الشلطامي**: "يمثل الشلطامي نموذج الشاعر الليبي الذي تذوق مرارة السجن وكان ذنبه الوحيد إيمانه في أن يعيش حياة كريمة يملؤها العدل والمجاهرة بدعوته وهذا كان في نظر النظام جريمة يدان صاحبها، حسب ما ذكر سجن ثلاث مرات جراء المطالبة بهدفه مرة في نظام **إدريس** ومرتين في نظام **القذافي**".[3]

كان رافضا للرضوخ لقوانين النظام المستبدة ومسايرته، فلم ينتم إلى فئة المثقفين المتملقين الخاضعين للدولة وإنما كان مثقفا متمردا معارضا لما تفرضه السلطة ويتنافى مع مبادئه القائمة على

[1] رمضان رضائي: "أحمد الصافي النجفي وحبسياته"- ص: 96.

[2] حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان، من الأدب السياسي- ص: 184. 185.

[3] ناجية مولود الكلامي: "قصيدة السجن في شعر محمد الشلطامي"- مؤتمرات كلية الأدب- جامعة طرابلس- ليبيا- د. ت- ص: 155- http://erepository.cu.edu.eg –تم الاطلاع عليه يوم: 9 مارس 2019م.

حرية الفكر والجهر بالحق وإن كان مرا، فلم تكن المناصب العليا والمبالغ المالية تغريه ليصمت ويسير مع التيار، اختار سبيله بحيث لم يعد هناك شيء يردعه في الوصول إلى رغبته لتحقيق الحرية للجيل الصاعد الذي يمثل ولداه جزءا منه، بعد المحاولات الفاشلة لإيقاف زوبعته لجأ النظام إلى أسلوب العنف بغية ترويضه وإخماد ثورته بإلقائه في السجن بين أيدي الجلادين، ورغم كل ما عاناه من تعذيب لم يذعن ولم يتخل عن موقفه فلم يقدر سوط جلاد ولا لكمات ولا ركل من تليينه وتغيير مسار تفكيره الحر[1]. تحدث الشلطامي فترة سجنه مصورا أساليب التعذيب الشنيعة التي مورست عليه دون جدوى، يقول:

وَتُمِيتُ الصَّعْقَةُ الهَوْجَاءُ رِجْلَيَّ

وَلَكِنِّي أُغَنِّي

وَيَغِيبُ السَّوْطُ بَعْدَ السَّوْطِ فِي

لَحْمِي،

وَلَكِنِّي أُغَنِّي

وَأُغَنِّي [2]

لم تنقطع سلسلة التعذيب تلك فكلما خارت قوى السوط من جلد الشاعر بدأت بعدها جولة اللكم والرفس التي لا تحدد مكانا لوجهتها وإنما ما يهمها هو توجيه الضربة المنشودة التي تخرجه من فكر التحرر والاستسلام للسلطة، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فحسب بل تعداه إلى البحث عن وسائل وأساليب تعذيب جديدة تكسر عزيمته غير آبهين لما يحل للشخص الذي بين

[1] ينظر ناجية مولود الكلامي: "قصيدة السجن في شعر محمد الشلطامي"- ص: 159.

[2] المرجع نفسه ص: 160.

أيديهم ملقين بضمائرهم في مستنقع الفساد، ومن أساليب التعذيب التي عرفها الشاعر إطفاء السجائر على جسده[1]، يقول:

ولتكمم

قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ فِي وَصْلَةِ تَعْذِيبِكَ،

يَا مُجْرِمَ عَيْنَيَّ،

وَتَرْسُمَ

فَوْقَ جِسْمِي مَا تَشَاءُ

فَأَنَا أَحْمِلُ فِي جَنْبِي وَجْهًا

آخَرَ لِلْوَطَنِ الغَارِقِ فِي لَيْلِ،

الفَزَعِ

وَلْيَكُنْ مَا شِئْتَ، أَطْفِئْ

نَارَ سِيكَارَتِكَ العِشْرِينَ فِي صَدْرِي

لِأَنِّي

سَأُغَنِّي [2]

يتفرد كل شاعر بتجربته السجنية المتجلية في شعره فقصائده نابعة من ذاته المكسورة لشدة الألم والمعاناة والظلم، وتميزت حبسياته بغزارة اللغة الذاتية فيها ممثلة التجربة الذاتية للشاعر داخل

[1] ناجية مولود الكلامي: "قصيدة السجن في شعر محمد الشلطامي"- ص: 159، 160.

[2] ينظر المرجع نفسه – ص: 160.

السجن بكل تفاصيلها وبالأخص تلك اللحظات التي يتذكر أبناؤه فيها[1]، حيث يقول في قصيدة رسالة إلى الأطفال:

أَنَا ذَا أَدْفَعُ لِلْجَلَّادِ بِرَأْسِي

فِي طَبَقٍ مِنْ شِعْرِ الثَّوْرَةِ وَالغَضَبِ الخَالِصِ

لِلْحُبِ

مِنْ أَجْلِكُمَا يَا طِفْلَيَّ المَبْهُورَيِنِ،

بِهَذَا العَالَمِ

"فضل الشلطامي التضحية بنفسه في سبيل عيش أبنائه حياة ملؤها الأمن والطمأنينة، فسلم جسده لسياط الجلادين باقتناع تام منه، وسعى لتهيئة أبنائه نفسيا في حال موته تحت التعذيب فهو مدرك ومطلع على شعور اليتم، فاستدعى اليتم في قصيدته وربطه بعدة صفات كالرقة والنعومة والإباء، يقول في إحدى قصائده:

رَبَّانِي اليَتِيمُ

عَلَّمَنِي كَيفَ أُقَاوِمُ حُزْنِيَ الأَسْوَدَ

أَكْبَرُ كَالشَّجَرِ البَرِّيّ

أَمُدُّ جُذُورِي تَحْتَ الأَرْضِ كَيْ

اَقْتَصَ حَيَاتِي[2]

[1] ناجية مولود الكلامي: "قصيدة السجن في شعر محمد الشلطامي"- ص: 162.

[2] المرجع نفسه- ص: 162.

على الرغم من المعاناة داخل فضاء السجن إلا أن الشاعر لم ينس فلذتي كبده من شعره فأراد أن يغرس فيهما جزءا منه، وكذا حاول تأدية دوره كأب في نصح أبنائه وإرشادهم وهذا ما تؤكده هذه الأبيات الشعرية.

لم يخل شعر الشلطامي من الأمل والتفاؤل بسطوع شمس الحرية واسترجاع الحقوق التي سلبها ذوي السلطان في بلده فلم يستسلم ولم يفقد أمله، يقول:

بَلَدِي تحطم قبضه العُمَلَاء

وَالنَّعْشُ المُرَقَّعُ

وَالجَنَازَةُ

تَحْمِلُ البُشْرَةَ إِلَى التَّارِيخِ

قَامَ يَسُوعُ

قَامَ يَسُوعُ

يَا فَرَحَ العُيُونِ الدَّامِعَةِ

هِيَ ذِي بِلَادِي الآنَ تُولَدُ

مِنْ رَمَادِ الجَامِعَة. [1]

- **محمد الحلوي:** "شاعر مغربي ساهمت أسرته في تكوينه وتوجيهه، يعد أحد الشعراء الذين أوقدوا ثورة الشعب، وضعه الاستعمار ضمن القائمة السوداء، تم اعتقاله وحكم عليه بالسجن لسنة ونصف قضى معظمها في معتقلات التعذيب رفقة إخوانه الوطنيين"[2].

---

[1] ناجية مولود الكلامي: "قصيدة السجن في شعر محمد الشلطامي"- ص: 163.

[2] علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب العربي في فترة الاحتلال الأوروبي- أطروحة دكتوراه- جامعة محمد خيضر- بسكرة- 2012م/2013م- ص: 91.

ساهمت هذه الأحداث بشكل ما في ضياع جل إنتاجه الشعري فلم يتبق منه إلا القليل.

صور في شعره قضايا بلده الاجتماعية والوطنية، ومما خلفه ديوان شعري موسوم ب"**أنغام وأصداء**" طبع عام 1965، ومن القصائد الشعرية التي نظمها في السجن قصيدة بعنوان "**رؤيا**"[1]، يقول فيها:

أَيُّ دُنْيَـــا أَنْـــتِ يَا دُنْيَـــا الـــرُّؤَى يَا مَـــلَاذَ الـــرُّوحِ يَا نَبْـــعَ النَّـــيِّ
سَـــبْحَةٌ مِـــنْ سَـــبَحَاتِ الـــرُّوحِ فِي أُفُقِـــكَ السِّـــحْرِيِّ عُمْـــرٌ ذَهَـــبِي
وَنسِـــــيمُ عِطْـــــرٍ مُنْسَـــــكِبٍ مِنْـكَ فِي قَـلْـبٍ وَجِـيـعٍ مُـتْعَـبِ[2]

وقال في قصيدة أخرى:

سَـقَى اللهُ فَاسًـا بَعْـدَنَا كُـلَّ صَـيِّبٍ فَإِنَّ الأَسَى لَمْ يُبْقِ فِي العَيْنِ أَدْمُعَا
أَ أَحْيَـانًا فِي الـدّوحِ، وَالـدّوح جنـة إِذَا لَمْ تَكُـنْ لِلْحُسْـنِ وَالغَيـد مَرْتَعَـا
ذَكَـرْنَاكُمْ بَـيْنَ الأَخَادِيـدِ وَالـرُّبَى وَبَـيْنَ سِـيَاطِ البَغْـيِ تـوهي الأَضَـالِعَا
وَبَـيْنَ فُـؤُوسٍ هـدنا حَمْـلَ ثِقَلِهَـا وَآلَامِهَـا قَـدْ أَفْقَـدَتْنَا الأَصَـابِعَا
سَـيَبْنِي عَلَـى أَشْـلَائِهِ صَـرْحَ مَجْـدِهِ وَيجلـي عَلَـى الأَرْضِ العَـدُوَّ الـمُقَنَّعَا
سَـنَعْلَمُ حَـتَّى يَعْلَـمَ الصَّـبْرُ أَنَّنَـا بَنُـوهُ إِذَا الـمَفْجُوعُ يَوْمًـا تَضَعْضَـعَا
فَقُـلْ لِفِرَنْسَـا إِنَّـهُ الشَّـعْبُ زَاحِـفٌ لِيَسْـتَرْجِعَ الـمَجْدَ السَّـلِيبَ الـمُوَزَّعَا
فَـلَا تُرْهِبِيـهِ إِنَّـهُ غَيْـرُ خَـائِفٍ وَلَا تُطْمِعِيهِ بِالأَمَانِي فَقَدْ وَعَا[3]

[1] ينظر علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب العربي في فترة الاحتلال الأوروبي – ص :91.
[2] المرجع نفسه– ص :92.
[3] المرجع نفسه – ص: 92.

محمد الشاذلي خزندار: أحد أشهر شعراء تونس، لقب بِ"**أمير شعراء الخضراء**". كان لانخراطه في الخدمة العسكرية وانتمائه إلى الحزب الدستوري أثر كبير في حياته ووطنيته.

نظم خزندار قصيدة ترحيب واحتفاء بعودة عبد العزيز الثعالبي من منفاه، حققت هذه الأخيرة شهرة واسعة إلا أنها مثلت سببا كافيا ومقنعا لكي تصدر السلطات الفرنسية أمرا بسجنه مدة أسبوعيين بتهمة التدخل في السياسة مع العلم أنه كان عسكريا. بعد طرده من الجيش تفرغ للعمل في الحزب الدستوري القديم ورئاسة جريدة الأمة.[1]

يقوم أسلوبه في كتابة الشعر على السخرية الممزوجة بالحماسة، تحدث في أعماله الشعرية عن الصراع مع العدو الفرنسي ومقاومة الشعب له وشجع كل المواقف المسهمة في الثورة، يقول في قصيدة "**الحر**":

الـــحُرُّ مَـــنْ لَا يَسْـــتَكِينُ لِـــمُرْهَقٍ فَعَلَيـكَ خَصْـمُكَ مِـمَّا وَيـحَكَ تَتَّقِـي

وَ اسْـطَعْ بِـحَقِّكَ فِي الأباة وَلَا تَقُـلْ إِنَّ الـبَـلَاءَ مُـوكـل بِالـنُّـطْـقِ

فَـإِلَامَ تَسْـتَجْدِي وَحَقُّـكَ بَـيْنَ شـلت يـد تَـمْتَدُ لِـمُتَصَدِّقِ[2]

العلاقة بين الشاعر ووطنه علاقة وطيدة تجلت في جل قصائده الحاملة لآلام وأحزان ومعاناة الشعب التونسي في ظل الاستعمار الفرنسي الغاشم الذي نكل به وجرب عليه مختلف أنواع التعذيب مثل الصلب، ومن أعماله المصورة لذلك قصيدة "**ضحايا**"، يقول فيها:

نَبْكِـي لِفُـرْقَتِهِمْ وَهُـمْ أَحْيَـاءُ سـبعا بَكَـتْهُمْ تُـونسَ الخَضْـرَاءُ

مَـا كَـانَ فِي كَفَّـيْ الحُسَـامِ وَإِنَّمَـا مِـنْ تَحْـتِ فَكَّـيْ حَيَّـةٍ رَقْطَـاءُ

أَرسـلتهَا حصـبا عَلَـى مغتَـالهم فَتُـرِيهِ مَـاذَا يَـفْـعَـلُ الشُّـعَـرَاءُ[3]

---

[1] ينظر نجدة فتحي صفوة: هذا اليوم في التاريخ: المجلد الأول كانون الثاني/ يناير. http :books.google.dz. تم الاطلاع عليه في: 9 مارس 2019.

[2] علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب العربي في فترة الاحتلال الأوروبي- ص: 93.

[3] المرجع نفسه- ص: 93.

اتسم شعره بحضور وطنيته الدائم في معظم قصائده بعكس تجربة السجن حيث تحدث عنها في بعض قصائده، يقول الشاعر من قصيدة "**بلادي... بلادي**":

أُنَادِيهَـــــا وَمَـــــالِي لَا أُنَادِي بِـــلَادِي تُـــونس الخَضْـــرَا بِـــلَادِي
أيجمـــــل بالشـــــبيبة وَهِـــــيَ أَم لهـــــم أن يتركوهـــــا في اضـــــطهاد
سُـــجِنْتُ لِحُبِهَـــا فَـــازْدَدْتُ حُبًّـــا وَقُلْـــتُ: اليَـــوْمَ قَـــدْ عَرَفْـــتُ بِـــلَادِي
بَـــررت بِهَـــا وَمَـــا أَنَا ذَا عُقُـــوقٍ وَهَـــذَا مَـــا يُـــؤَدِيـــهِ اِعْـــتِـــقَـــادِي
أَ تُـــونس لَـــيسَ لِي فِي السِّـــجْنِ إِلَّا مَحَبَّتُـــــكِ العَرِيقَـــــةُ فِي فُـــــؤَادِي
ضَـــمَنْتُ لَـــكِ العَدَالَـــةَ عَـــنْ قَرِيـــبٍ وَحَسْبُـــكِ إِذْ عَـــلَى اللهِ اِعْتِمَـــادِي[1]

ويقول أيضا:

وَمَـــا الـــمَسْجُونُ مِثْلِـــي اليَـــوْمَ إِلَّا كمثـــل النَّـــارِ تَكْمُـــنُ فِي الـــزِّنَادِ
وَمَـــا الأَشْـــعَارُ إِنْ جَاشَـــتْ بِصَـــدْرِي سِـــوَى قضـــب مســـددة حـــدادِ
أَذُودُ بِهَـــا عَـــنِ الـــوَطَنِ الـــمفدى وَأَحْمِـــي تُـــونس الخَضْـــرَا بِـــلَادِي[2]

وقال في قصيدة أخرى يناجي تونس بعد أن طرد من القصر وسجن:

سَـــلَا تُونسَـــا عَـــنِّي وَعَنْهَـــا سَـــلَانِيَا أَنَـــا مَـــا بِـــهَا أَدْرِي وَتَعْـــلَـــمُ مَـــا بِيَـــا
سُـــجِنَا مَعًـــا فَـــارداد كُـــل صَـــبَابَة وَمَـــا غَـــابَ كُـــل عَـــنْ أَخِيـــهِ ثَوَانِيَـــا
أَعَـــدَّ لَنَـــا الحُسَّـــادُ بِالسِّـــجْنِ خلْـــوَةً فَـــزِدْنَا اِلْتِحَامًـــا عِنْـــدَهَا وَتَشَـــاكِيَا
وَدَارَتْ كُـــؤُوسُ الحُـــبِّ بَيْـــنِي وَبَيْنَهَـــا وَكَـــانَ بِهَـــا مَـــجْرَى الســـلافة صَـــافِيَا
تُنَادِي: إِنْ تنسب يَا شاذلي. قُلْتُ: تُو نسي. فَقَالَتْ: أَنَا لِلشَّاذِلِي إِذْ غَدَا لِيَا[3]

---

[1] علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب العربي في فترة الاحتلال الأوروبي – ص: 94.

[2] المرجع نفسه – ص: 95.

[3] المرجع نفسه– ص: 95.

يرى الشاعر في السجن فرصة للفناء في حب الوطن والاعتزاز به والدفاع عنه.

"على الرغم من النقد الذي وجه إلى شعر الشاذلي بأنه لم تكن لديه قريحة شعرية حقيقية، لغته ركيكة مليئة بالأخطاء اللغوية إلا أن هذا لم يغط على روحه الوطنية وصدق مشاعره وإخلاصه لوطنه إضافة إلى حماسه الكبير في الدفاع عن تونس"[1].

- **محمود درويش**: "أشهر شعراء العصر الحديث ورمز المقاومة الفلسطينية، شاعر فلسطيني كافح الكيان الصهيوني وحاربه بسلاح الكلمة الرافضة الغاضبة المتحدية لمغتصب أرضه فكانت نتيجة هذا التصدي وضعه رفقة كل من دعمه في هذا الموقف بالسجن"[2] ليعانوا مرارة الوحدة القاتلة فلم تكن قضيته السامية التي آمن بكل حرف فيها في رأي الصهيونيين إلا جرما وعصيانا يعاقب منفذه إما بالسجن أو بالنفي، وهذا كان حال الشعب الفلسطيني بصفة عامة والشعراء بصفة خاصة، من حبسياته قصيدة تحمل عنوان **"السجين والقمر"**، يقول فيها:

فِي آخِرِ اللَّيْلِ اِلْتَقَيْنَا تَحْتَ قنطرة الجِبَالْ

مُنْذُ اِعْتُقِلْتُ، وَأَنْتِ أَدْرَى بِالسَّبَبِ

أَلِأَنَّ أُغْنِيَةً تُدَافِعُ عَنْ عَبِيرِ البُرْتُقَالْ

وَعَنِ التَّحَدِّي وَالغَضَبْ

عَلَمَانِ نَحْنُ عَلَى تَمَاثِيلِ الغُيُومِ الفُسْتُقِيَّة

كُلُّ اللَّيَالِي السُّود تَسْقُطُ فِي أَغَانِينَا ضَحِيَّة

..... المَوْتُ وَالمِيلَادُ فِي وَطَنِي المُؤَلَّهُ تَوْأَمَان [3]

---

[1] نجدة فتحي صفوة: هذا اليوم في التاريخ: المجلد الأول كانون الثاني/ يناير http :books.google.dz .

[2] حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان، من الأدب السياسي- ص: 231.

[3] المرجع نفسه- ص: 231.

يصور الشاعر في قصيدته تلك مدى الحب الذي يكنه لوطنه والتحدي الذي يقف في وجه التخاذل والخيانة وتحويل الليالي الحالكة التي يلفها الألم والحزن ببزوغ شمس الحرية.

وفي قصيدة **"تحد"** التي يعرّف العنوان عن مضمونها، يقف الشاعر موقف تحد حاملا قلمه ضد الأعداء[1] وأسلحتهم وأساليب تعذيبهم، حيث يقول من أعماق السجن:

شُدُّوا وثَاقِي وَامْنَعُوا عَنِّي الدَّفَاتِرَ وَالسَّجَائِرْ

وَضَعُوا التُّرَابَ عَلَى فَمِي، فَالشِّعْرُ دَمُّ القَلْب

مِلْحُ الخُبْزِ مَاءُ العَيْنِ، نَكْتُبُ بِالأَظَافِرِ، وَالمَحَاجِرِ

وَالخَنَاجِرْ

سَأَقُولُهَا، فِي غُرْفَتِهِ التَّوقِيف، فِي الحَمَّامِ، فِي

الإِسْطَبْلِ، تَحْتَ السَّوْطِ، تَحْتَ القَيْدِ، فِي عُنْفِ

السَّلَاسِلْ

ملْيُونُ عُصْفُورٍ عَلَى أَغْصَانِ قَلْبِي

يَخْلقُ اللَّحْنَ المُقَاتِلْ[2]

[1] حسن سليم نعيمة: شعراء وراء القضبان، من الأدب السياسي – ص: 232.

[2] ينظر المرجع نفسه – ص: 232.

بالرغم من تواجد محمود درويش في السجن قسرا إلا أنه لم يتوان ولم يكل من مجابهة عدوه ورفع عزيمة شعبه وشد أزرهم كما حثهم على الصمود والاستمرار في مقاومتهم إلى آخر رمق، فلم تقف جدران السجن أمامه ولم تكبح جماح نضاله، وتجسد صموده في قصيدة بعنوان "**برقية السجن**"، يقول:

مِنْ آخِرِ السِّجْنِ طَارَتْ كَفُّ أَشْعَارِي تَشُدُّ أَيْدِيكُم رِيحًا عَلَى النَّارِ
أَنَا هُنَا وَرَاءَ السُّورِ أَشْجَارِي تُطَوِّعُ الجَبَلَ المَغْرُورَ أَشْجَارِي
مُذْ جِئْتُ أَدْفَعُ مَهْرَ الحَرْفِ مَا اِرْتَفَعَتْ غَيْرُ النُّجُومِ عَلَى أَسْلَاكِ أَسْوَارِي
أَقُولُ لِلْمُحْكِمِ الأَصْفَادِ حَوْلَ يَدي هَذِي أَسَاوِرُ أَشْعَارِي وَإِصْرَارِي
فِي حَجْمِ مَجْدِكُمْ نَعْلِي وَقَيْدُ يدي فِي طُولِ عُمْرِكُم المَجْدُولِ بِالعَارِ
أَقُولُ لِلنَّاسِ لِلْأَحْبَابِ: نَحْنُ هُنَا أَسْرَى مَحَبَّتِكُم فِي المَوْكِبِ السَّارِي
فِي اليَوْمِ أَكْبَرُ عَامًا فِي هَوَى وَطَنِي فَعَانِقُونِي عِنَاقَ الرِّيحِ لِلنَّارِ[1]

[1] حسن سليم نعيمة: شعراء وراء القضبان، من الأدب السياسي – ص: 233.

المبحث الرابع: السجن في الشعر الجزائري الحديث.

تعد الثورة الجزائرية منبعا استقى منه الشعراء قصائدهم التي أرخوا بها معاناة الشعب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي باعتباره أخطر أنواع الاستعمار فدخل إلى الجزائر بصورة عسكرية يحمل نوايا خبيثة تستهدف الجانب الثقافي كخطوة أولى لبلوغ أهدافه الباطنية لإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة الأصلية للشعب، وهنا برز دور الفئة المثقفة التي تفطنت لخطورة هذا الاستعمار داعية لتوعية الشعب الجزائري ودعوته إلى الكفاح والمناضلة في سبيل تحرير الوطن والتمسك بالهوية الجزائرية بكل ما أوتي من قوة، أدى هذا التصدي إلى اعتقال ونفي جملة من المفكرين والشعراء بغية إخماد نار هذه المقاومة.

المطلب الأول: أشهر السجون والمعتقلات

لعل أبرز السجون والمعتقلات[1] التي كانت مأوى للذين ترى فيهم فرنسا خطراً على وجودها في الجزائر:

سجن بربروس: أشهر السجون التي عرفتها الجزائر في حقبة الاستعمار الفرنسي، من سجنائه: **مفدي زكريا، أحمد زبانا، محمد قنانش...**

سجن الحراش: يقع بمدينة الحراش، يضم كل قسم منه سجناء بحسب الجرم، وقد خصص قسم خاص بالنساء.

سجن الكدية: موجود بقسنطينة، اعتبر من أقدم السجون الاستعمارية بالجزائر وأقلها بطشا. ومن معتقليه: **عبد الرحمن العقون.**

سجن لامبيز: نسب إلى مدينة لامبيز القريبة من باتنة المعروفة ب تازولت، خضع سجناؤه إلى التعذيب بوسائل مختلفة إضافة إلى التعذيب بالطبيعة الناجم عن موقعه الجغرافي البارد شتاء والحار صيفا.

[1] سكينة قدور: الحبسيات في الشعر العربي- ص: 57. 58.

معتقل بوسوي (الضاية): يقع في دائرة تلاغ بسيدي بلعباس، عبارة عن ثكنة عسكرية داخل جبال الضاية ، خصص للمعتقلين السياسيين الجزائريين، من نزلائه: **الشبوكي، أحمد سحنون.**

إضافة إلى معتقلات أخرى منه: **قصر الطير، عين الصفا، الوادي، دويرة، سان لوي (بطيوة)، تيشي.**

المطلب الثاني: أهم شعراء الثورة الجزائرية

- **أحمد سحنون:** "من أبرز أدباء الجزائر وأحد أعمدة الشعر الثوري، من مواليد ليشامة ببسكرة، ينتمي إلى أسرة محافظة، حفظ كتاب الله عز وجل على يد والده ثم انتقل إلى فرفار أين تلقى علوم اللغة العربية وآدابها، شغل منصب معلم في مدرسة الشبيبة الإسلامية وكان لهذه الوظيفة الفضل في تعرفه على جمعية العلماء المسلمين ورجال الفكر والإصلاح وتوطيد علاقته بهم حيث أضحى في عهد البشير الإبراهيمي عضوا بارزا وعين في لجنة الجريدة"[1].

أدى سحنون دوره كشاعر جزائري بجدارة إلى جانب إخوانه الشعراء والمناضلين فلم يتوان عن الرد على الاستعمار الفرنسي الذي سرق ونهب وسفك دماء العديد من الأبرياء، فهجم بشعره على هذا الطاغي بكل قوة مجاهرا بدعوته للدفاع عن الأرض ورفض بقاء هذا المستوطن.

حمل شعره بعدين بعد ثوري مقاوم يدعو فيه إلى ردع ظلم الغزاة واستعادة الحرية وبعد آخر إصلاحي سعى به للمحافظة على أخلاق الإسلام الحنيف واللسان العربي بحمايته من التحريف، حيث اعتمدت فرنسا في احتلالها على خطة تقوم بالأساس على طمس هوية الشعب الجزائري بتجهيله وغرس المبادئ والقيم الغريبة التي لا تتلاءم مع الشريعة الإسلامية باختصار فرنسة الجزائر بتطبيق سياسة الأهالي، الملاحظ أن شعره أدى دور مزدوج ثوري وإصلاحي في آن واحد.

أخذت العديد من قصائده نهج الإصلاح، دعا من خلالها إلى التمسك بدين الله عز وجل والسعي في طلب العلم، قائلا:

[1] علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب العربي في فترة الاحتلال الأوروبي- ص:74.

وَكَيْـفَ نَسْـعَدُ فِي دُنْيَـا يُـدَاسُ بِهَـا شَـرْعُ الإِلَـهِ، فَـلَا نَاهٍ وَلَا شَـاكِ؟

لَا شَـيْءَ يُسْـعِدُ دُنْيَـانَا سِـوَى عَمَـلٍ بِشِـرْعَةِ اللهِ فِي وَعْـيٍ وَإِدْرَاكِ [1]

من خلال هذين البيتين نجد شاعرنا ينادي شعبه بأهمية التمسك بحبل الله والسير على عقيدته فبها تصلح العقول والنفوس ما ينجم عنه صلاح الحال.

"تم اعتقاله بتاريخ 24 ماي 1956 مع جماعة من المفكرين والمصلحين ووضعوا بمعتقل **البرواقية**، ثم نقل من سجن لآخر، أفرج عنه في أواخر 1959" [2]. ومن أولى القصائد التي كتبها منذ وطأ السجن هذه الأبيات:

لَا أُبَالِي بِالسِّـجْنِ إِنْ كَـانَ فِي السَّـجْنِ رِضَـا خَالِقِـي فَـذَلِـكَ حَسْـبِي

إن خَطْبًـا فِيـهِ سَـلَامَةُ دِيـنِي وَرِضَـا اللهِ لَـهُوَ أَيْسَـرُ خَطْـبِ

هَـلْ عَبْـدُ الحَمِيـدِ فِي السِّـجْنِ مِثْلِـي؟ هَـلْ يَكُـونُ عَبْـدُ اللَّطِيـفِ بِقُـرْبِي؟

لَسْـتُ أَدْرِي لَكِـنَّ سَـعْيَاهُمَا سَـعْيِ فَـذَنْبُهُـمَا إِذًا مِـثْـلُ ذَنْـبِـي [3]

يرى الشاعر في السجن خيرا باعتبار أنه لم يقم بما يغضب الله فهو يعتبر قضية الدفاع عن وطنه أمر واجب متعلق بالدين، وقد اعتبر دخوله إلى السجن هو اقتداء بعلماء الجزائر ومفكريها المخلصين الذين أبوا وضع أيديهم بأيدي العدو ورفضوا التخلي عن أرضهم وإن ماتوا في سبيل ذلك.

على الرغم من المعاناة إلا أن سحنون لم يكل أو يمل من المقاومة وإصلاح شعبه فلا الجدران ولا المسافات حالت بينه وبينهم بل ظل متصلا بهم بشعره الذي اخترق الجدران وقطع

---

[1] جهانكير أميري، إلهام كاظمي: "مكارم الأخلاق في سجنيات أحمد سحنون (دراسة وتحليل)"- مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها- عد: 23- ربيع وصيف 1395هـ- ص: 7.

[2] علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب العربي في فترة الاحتلال الأوروبي- ص: 75.

[3] المرجع نفسه- ص: 75.

المسافات ليصل إلى مسامع الشعب الجزائري ويحثه على الحفاظ على عقيدته السمحة كما دعاه للبعد عن رذائل الأخلاق وطلب العلم لأن بذلك تقوى أمتنا ويصلح حال البلاد وتستقل، يقول في بعض الأبيات الشعرية:

مَرِضَـــتْ أَخْلَاقُنَـــا مُـــذْ تَبِعَـــتْ أُمَّةُ الأَخْلَاقِ أَخْلَاقَ سِوَاهَا

إِنَّ أَخْلَاقَنَـــا نَـــمَتْ فِي ظِلِّهَـــا عِـــزَّةُ الإِسْـــلَامِ فَاقَـــتْ مَـــا عَـــدَاهَا

أُمَّـــــتِي يَا أُمَّـــــةَ القُـــــرْآنِ يَا أُمَّـــــةَ الإِسْـــــلَامِ يَا أُمَّـــــةَ طَـــــهَ

اِحْفَظِـــي أَخْلَاقَـــكِ الغُـــرَّ الَّـــتِي قَـــدْ هَـــدَى كُـــلَّ بَـــنِي الـــدُّنْيَا ثَنَاهَـــا[1]

قال أيضا في السجن:

إِنْ تَكُـــــنْ زِنْـــــزَانَتِي ضَـــــيِّقَةً إِنَّ ذِكْـــــرَ اللهِ قَـــــدْ وَسَّـــــعَهَا

إِنَّ مَـــنْ يَنْسَـــى الَّـــذِي أَبْدَعَـــهُ يَـــذْكُر الـــدُّنْيَا الَّـــتِي أَبْـــدَعَهَا[2]

أيضا:

إِنْ كَـانَ يُـدْفَنُ قَبْـلَ الـمَوْتِ إِنْسَـانُ فَهُوَ السَّجِينُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ سَجَّانُ

وَقَبْـرُهُ السِّـجْنُ يَقْضِـي فِيـهِ مُدَّتَـهُ بِدُونِ نَفْعٍ وَلَا مَعْنَى لَهُ شَانُ

دُنْيَـاهُ أَضْـيَقُ دُنْيَـا عَاشَـهَا بَشَـرٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ صَبْرٌ وَإِيمَانُ[3]

● **محمد الشبوكي**: "من مواليد عام 1916 منطقة ثليجان ولاية تبسة، ينحدر من أسرة محافظة حفظ على يد والده جزءا من القرآن الكريم ثم تابع تعليمه على يد أحد المعلمين، اتصف

[1] جهانكير أميري، إلهام كاظمي: "مكارم الأخلاق في سجنيات أحمد سحنون (دراسة وتحليل)"- ص: 15.

[2] أحمد سحنون: ديوان الشيخ أحمد سحنون- الديوان الثاني- منشورات الحبر- بني مسوس- الجزائر- ط 1- 2007م- ص: 9.

[3] المرجع نفسه- ص: 12.

بالكرم والشجاعة والتواضع وتظهر هذه الصفات الحميدة في شعره وعلاقته بالآخرين. تابع مراحل تعلمه في واحة نفطة بتونس حيث تتلمذ على أيدي عدد من الشيوخ لهم مكانة كبيرة في مجال العلم مثل الشيخ محمد بن حداد، الشيخ إبراهيم الحداد وغيرهما، فاستقى منهم مبادئ اللغة العربية والفقه الإسلامي إلى جانب النحو، الصرف، الحساب. انتقل بعد ذلك إلى جامع الزيتونة لمتابعة رحلته في طلب العلم، ساعدت تلك الرحلة التعليمية في زيادة معارفه وثقافته كما أبرزت مواهبه الفذة في مجال الأدب. بعد عودته إلى الجزائر واندلاع الثورة التحريرية تم اعتقاله من طرف الاستعمار الفرنسي بتهمة الكيد لها، وفي عام 1955 انخرط في أول خلية ثورية أسست بمدينة الشريعة".[1]

عاش الشبوكي الثورة بكل جوارحه[2]، فكان مدركا لأهميتها والغاية منها، كما مثلت مصدر قصائده الثورية. عكس شعره قوة شخصيته وقدرته الكبيرة على الصمود في وجه المحتل، فلم يقو هذا الأخير على إسكاته أوإجباره على العدول والتراجع عن موقفه النضالي رغم كل الجهود التي بذلتها من سجن وتعذيب، إلى جانب أنها حاولت تشويه صور المجاهدين في أعين الشعب الجزائري باعتبارهم مجرد متمردين لا يصعب القضاء عليهم[3]، قال الشبوكي في هذا الصدد:

جَمَعْتَنَـــا فِرَنْسَـــا هُنَـــا لِكَـــيْ نَنْسَـــى عَلَـــى زَعْمِهَـــا حَيَـــاةَ القِتَـــالِ

وَلِكَـــيْ نَسْـــأَمَ الكِفَـــاحَ وَنَـــهْوَى مِنْ جَدِيدٍ مَعِيشَةَ الإِذْلَالِ[4]

وكذا يرد في شعره على السلطات الفرنسية التي وضعتهم في السجون والمعتقلات بهدف إخضاعهم وإذلالهم وتثبيط عزيمتهم، فيقول:

---

[1] علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب العربي في فترة الاحتلال الأوروبي- ص: 96. 97.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي- دار البصائر- الجزائر- الجزء العاشر 1962/1954- طبعة خاصة- 2007م- ص: 504.

[3] توفيق شبايكي: التشكيل الإيقاعي في ديوان محمد الشبوكي الوطنيات والأناشيد نموذجا- مذكرة ماجستير- جامعة الحاج لخضر- باتنة- 2010م/ 2011م- ص: 22.

[4] المرجع نفسه- ص: 22.

وَمَـــــتَى كَانَـــــتْ الضَـــــرَاغِمُ تَنْسَــى مَالَــهَا مِــنْ طَبَــائِعَ وَخصَــالْ

نَـــحْنُ قَـــوْمٌ نَبْغِـــي التَّحَـــرُّرَ ثُـــرْنَا وَلَئِنْ طَالَ سِجْنُنَا لَا نُبَالِي[1]

فالشاعر يعلم فرنسا بأنه مهما عذبت ونكلت بهم إلا أنهم سيضلون متشبثين بثورتهم التي آمنوا بها فلن يردعهم شيء عن تحقيق مبتغاهم المتمثل في استعادة الحرية.

أرخ هذا الشاعر تجربته مع السجن في سبعة وعشرين قصيدة ذكر فيها أدق التفاصيل من زمن ومكان ومناسبة منها: «**دولة الشعب، جيش التحرير الوطني، الشباب الجزائري الثائر، مناجاة هلال رمضان، نشيد الشباب الجزائري..**»[2]

- **محمد العيد آل خليفة:** شاعر العروبة والإسلام، ولد بعين البيضة ولاية أم البواقي، ترعرع وسط أسرة محافظة سقته من الثقافة الإسلامية العربية، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم انتقل إلى بسكرة، التحق بعدها بجامع الزيتونة وأخذ العلم من شيوخه، بعد انتهاء فترة تعلمه بتونس عاد إلى الجزائر وانضم إلى العلماء الذين سبقوه في العمل النضالي بنشر قصائد المقاومة في الجرائد الوطنية التي كانت قبلة الشعراء لنشر قصائدهم الإصلاحية والثورية بغية توعية الشعب من الخطر المحدق بهم والنتائج الوخيمة من هذا الاحتلال الذي لم تكن غايته نهب الأرض فحسب إنما محو شخصية الأمة.[3]

ساهم عمله في مجال التعليم في لفت انتباهه للناشئة واهتمامه بهم. برز كعضو مهم في جمعية العلماء المسلمين من خلال نشاطه الأدبي والتعليمي والسياسي، هذا الأمر دفع بسلطات الاحتلال لوضعه تحت المراقبة لم يتوقف الأمر عند المراقبة فقط بل تطور إلى التحقيق معه واستنطاقه واستفزازه, إثر الإعلان عن بداية ثورة نوفمبر عام 1954 قام الاحتلال الفرنسي

[1] ينظر توفيق شبايكي: التشكيل الإيقاعي في ديوان محمد الشبوكي الوطنيات والأناشيد نموذجا – ص: 23.

[2] سكينة قدور: الحبسيات في الشعر العربي– ص: 102.

[3] علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب العربي في فترة الاحتلال الأوروبي– ص: 99. 100.

بسجنه ثم وضعه تحت الإقامة الجبرية في بسكرة، وبقي في ظل الرقابة المشددة إلى أن توجت البلاد بالاستقلال.

أثمرت فترة سجنه قصيدتين عكستا حاله وأمله بتحقيق الحرية، الأولى كانت بعنوان **"مناجاة بين أسير وأبي بشير"** التي استقى بعض معانيها من سجنيات أبي فراس الحمداني، يقول فيها:

جَزَمْـــتُ بِقُـــرْبِ إِطْـــلَاقِ الأَسِـــيرِ غَـــدَاةَ سَـــمِعْتُ صَـــوْتَ أَبِي بَشِـــيرْ

فَقُلْـــتُ مَرْحَبًـــا بِنَزِيـــلٍ يَـــمُنُّ عَلَـــيَّ بِكُـــلِّ إِكْـــرَامٍ جَـــدِيرْ [1]

ويقول في القصيدة الثانية التي حملت عنوان **"أبا المنقوش"**:

أَبَا الـــمَنْقُوشِ هَـــلْ تَـــدْرِي بِـــحَالِي؟ فَأَنْـــتَ اليَـــوْمَ جَـــارِي فِي الجِبَـــالِ

بِبِســـكرة النَّخِيـــلِ حَطَطْـــتُ رَحْلِـــي وَأَنْـــتَ بِأَرْضِـــهَا حَـــامِي الرِّحَـــالِ[2]

[1] علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب العربي في فترة الاحتلال الأوروبي- ص: 100.

[2] المرجع نفسه- ص: 100.

الفصل الثاني: دراسة موضوعية وفنية لديوان اللّهب المقدس

- المبحث الأول: دراسة موضوعية للّهب المقدس
- المبحث الثاني: دراسة فنية للهب المقدس
- المبحث الثالث: المعجم الشعري

تمهيد

يعد شعر السجون بمثابة معزوفة موسيقية تتنوع آلاتها ونوتاتها لتشكل في النهاية لحنا عذبا يطرب له السامع وتنسجم معه الروح، كما يمثل لوحة فنية تمازجت فيها الألوان وتناسقت رغم تباينها لتنتج لنا عالما خياليا رائعا يأخذ مشاهده إلى فضاء آخر، فلم تتحدد السجنيات بموضوع معين كما لم تكن حبيسة زمان أو مكان محدد، فقد وجد السجن بوجود الإنسان، وإن صح القول فعقاب الله تبارك وتعالى لسيدنا آدم عليه السلام بمثابة سجن له في الدنيا على ما اقترفه في الجنة، كان شعر السجون متداولا عبر العصور، حاملا في طياته أحاسيس الشعراء التي جمعت بين المعاناة والصبر والفخر، ولعل هذه الأخيرة كانت سببا في تفجر قرائحهم بقصائد تصل إلى قلوب السامعين، حيث سلم الشعراء زمام القيادة لمشاعرهم التي أبحرت بهم عبر أمواج الشوق والانتماء، صامدة في وجه عواصف الغربة والتفرقة التي سلطها عليهم عدو غادر. فالسجنيات كانت المسار الذي قطعه الشعراء على متن سفينة الصمود والمواجهة بغية استرجاع وطن سلب منهم مع غرس روح المقاومة والنضال في شعب جريح غايته استعادة كرامته وحريته.

كذلك شاعر الثورة مفدي زكريا كان له مقعد ضمن تلك السفينة، وقد روت قصائده وقائع السجن وما خلفته من أثر نفسي وجسدي عليه، مصطبغة بالطابع الثوري، حيث يعتبر ديوان اللهب المقدس أبرز نموذج خلد به الثورة المجيدة، بأسلوب جلي وبليغ في متناول العام والخاص، ولغة قوية مزج فيها بين الفصيح والعامي إضافة إلى الصور البيانية التي أوهجت شعره شكلا ومضمونا، مثريا ديوانه بجملة من الألفاظ والأسماء القرآنية التي أكسبته مستوا رفيعا، وكذا اغترافه من التراث الشعري لفظا ومعنا.

بعد مرور حقبة من الزمن لا زال اسم مفدي زكريا مرتبطا بالثورة التحريرية، حيث نال لقب شاعر الثورة المجيدة على غرار بقية الشعراء، وهذا راجع لفنائه في عشق الجزائر، فقد كان لنضاله الشعري وقع كبير في أقطاب الجزائر أكثر من نضاله السياسي لما يحمله من رسالة صادقة تخترق مسامعهم وتمس قلوبهم.

المبحث الأول: دراسة موضوعية لديوان اللهب المقدس.

المطلب الأول: الحنين والغربة

يعد موضوع الغربة والحنين في الشعر العربي مجالا شاملا تطرح فيه مواهب الإنسان العربي منذ الأزل، فعاطفة الحنين إلى الوطن قديمة قدم الإنسان، باعتباره مربع القبيلة ومرتع الصبا من منظور القدماء. إن هذا الشعر في الجزائر هو شعر الثورة الوجداني، فالشوق إلى الوطن لا يكون إلا بوقوع الشاعر في الأسر أو في حالة النفي أو بسبب الحرب فهاته الأسباب خلقت في نفسية الشاعر شعلة أوقدت قرائحهم فنظموا أشعارا يناجون بها وطنهم لفراقه والإحساس بالقطيعة، وهذا ما يظهر في قصائد أغلب الشعراء المساجين فحنينهم أشد قوة بالرغم من المعاناة داخل السجن وخير دليل **أحمد سحنون، مفدي زكريا، عبد السلام الحبيب، عبد الله شريط، أبو القاسم خمار**،...[1]

يعد حب الجزائر العنصر المشترك بين كافة الشعراء المساجين إلا أن درجة الحب وأسلوب التعبير عنه يختلف من شاعر لآخر، ولعل أبرز الشعراء الذين فنوا في حب الوطن مفدي زكريا حيث حملت أشعاره روحه المحبة للجزائر وسعيها لكسر كل الحواجز التي تفصله عن بلده، شكّل السجن بظلمته وبرودته إحساسا بالغربة عن الوطن في نفس الشاعر وانجر عن هذا شعور آخر قوي تمثل في الشوق إلى الوطن، فقد برع مفدي زكريا في التعبير عنه بأبيات نسجها من حرير ذاكرته التي حفظ فيها كل رقعة من بلاده الحبيبة، فيجول بشعره كل أنحائها باعثا كل أشواقه وحبه لها آملا في رؤيتها من جديد، يقول في قصيدة "**فلا عز.. حتى تستقل الجزائر**":

جَزَائِـرُ.. مَهْمَـا بَاعَـدَ الخَطْـبُ بَيْنَنَـا تُبَـاكِرُنِي النَّجْـوَى وَتَـهْفُو بِي الـذِّكْرَى

[1] ينظر مصطفى بيطام- الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954 . 1962، دراسة موضوعية فنية- ديوان المطبوعات الجامعية- بن عكنون- الجزائر- د، ط- 1998م- ص: 181.

حَنِيــنِي إِلَى القَصْــبَاءِ هَــاجَ مَــدَامِعِي وَشَــوْقِي إِلَى بِيكُــورَ أَفْقَــدَنِي الصَّــبْرَا

وَفِي حَــيّ بَابِ الــوَادِ مَاضِــي صَــبَابَتِي تَرَكْتُ بِبَابِ الوَادِ مِنْ كَبدِي شَطْرَا[1]

تعتبر هذه الأبيات دليلا على بلوغ الشاعر أقصى الدرجات في حب الوطن، فقد سجل صورة تفصيلية للجزائر في ذاكرته يسترجعها كل ما خفق قلبه شوقا إلى بلده، فالشاعر يسافر بقارئ أبياته عبر أرض الجزائر من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب ذاكر أبرز معالمها التي تدعو للفخر، ونجده يقول في أبيات أخرى من نفس القصيدة:

وَسِـرْتَا وَمَـا سِـرْتَا سِـوَى مَشْـرَعِ الظِّبَى وَمَرْعَى الظِبَآ، سَلْنِي.. فَإِنِّي بِـهَا أَدْرَى

وَ يَا جَبَـلَ الـوَحْشِ الضَّـحُوكِ، أَلَمْ تَـزَلْ كَمَـا كُنْـتَ، مُخْضَـلَّ الجَـوَانِحِ.. مُخْضَـرَا

وَيَا سَـــاكِنِي وَهْـــرَانَ بِاللهِ خَـــبِّرُوا.. أَلَمْ تَتْرُكُــوا لِلنَّــاسِ، دُونَكُــمْ فَخْــرَا[2]

عاش الشاعر حياة المغترب رغم تواجده على أرض الوطن، فبقاؤه في السجن محاطا بالعديد من الفرنسيين إضافة إلى المعاناة التي شهدها هناك، أوقدت نار الحنين للأهل والأحبة الذين أبعدته عنهم يد المحتل، مع ظلمة السجن ومرارة الوحدة تتولد الذكريات في ذهن الشاعر يتراءى له طيف **سلوى** مزودا بالأشواق، مسافرا به إلى زمن مضى وانقضى، مستذكرا لحظات الأنس، فيقول من **"زنزانة العذاب 73"**:

[1] مفدي زكريا: ديوان اللهب المقدس- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- وحدة الرغاية- الجزائر- 2007م- ص:261.

[2] المصدر نفسه- ص: 262.

وَرُبَّ نَجْـوَى، كَـدُنْيَا الحُـبِّ، دَافِئَـةٌ قَـدْ نَامَ عَنْهَـا رَقِيـبِي، لَـيْسَ يَسْـتَرِقُ
عَـادَتْ بِهَـا الـرُّوحُ، مِـنْ سَـلْوَى مُعَطَّـرَةٌ فَالسِّـجْنُ، مِـنْ ذِكْـرِ سَـلْوَى، كُلِّـهِ عَبَـقُ
يَا فِتْنَـةَ الـرُّوحِ هَـلَّا تَـذْكُرِينَ فَـتَى مَـا ضَـرَّهُ السِّـجْنُ، إِلَّا أَنَّـهُ وَمِـقُ؟
هَـلْ تَـذْكُرِينَ، إِذَا مَـا الحَـظُّ حَالَفَنَـا إِلَيـكِ أَهْتَـفُ يَا سَـلْوَى، فَنَتَّفِـقُ؟
أَمْ تَـذْكُرِينَ، وَلَحْـنُ المَـوْجُ يُطْرِبُنَـا إِذْ نَفْـرِشُ الرَّمْـلَ فِي الشَّـاطِئِ وَنَعْتَنِـقُ؟[1]

كما يظهر حنين الشاعر إلى كل من جمعته به صلة محبة، هذا ما نلتمسه في قصيدة "**فلا عز.. حتى تستقل الجزائر**":

وَفِي الحَـرَمِ الصَّـحْرَاءِ أَهْلِـي، وَجِـيرَتِي وَرَبْعِـي، وَخِـلَانِي، وَأَكْبَـادِي الحَـرَى[2]

المطلب الثاني: الوحدة الوطنية والعربية

لطالما كان الشعب الجزائري ولا يزال لحد الساعة متحدا صامدا في وجه الأزمات التي عرفها ويشهد له التاريخ على ذلك، ولعل هذا ما جعل فرنسا تخفق الإخفاق الذريع في تجريد الشعب الجزائري من عروبته فلم تصل إلى نتيجة سوى بجعله يؤمن أكثر من ذي قبل بعروبته وقوميته[3]، فكلما زادت الأزمات حدة زاد معه تضامن الشعب، وقد جاد شاعر الثورة المجيدة بهذه الوحدة في العديد من قصائده باعتبارها مدعاة للاعتزاز بالانتماء لهذا الشعب العظيم. تطرق مفدي زكريا إلى هذا الموضوع بالأخص خلال فترة الاحتلال الفرنسي حيث قام الشعب الجزائري بإيصال أرقى صور التعاون إلى الشعوب المحتلة التي ظلت محفورة في ذهن كل من عايشها، فقد أزالوا كل الحدود والفواصل وأصبحوا شخصا واحدا، يقول مفدي في ذلك:

[1] مفدي زكريا: ديوان اللهب المقدس- ص: 26.
[2] المصدر نفسه- ص: 262.
[3] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954 . 1962- ص: 217.

فَلَكَمْ تَصَارَعَ وَالزَّمَانُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ الزَّمَانُ –وَقَدْ تَوَحَّدَ –مَطْمَعَا
وَاسْتَقْبَلَ الأَحْدَاثَ مِنْهَا سَاخِرًا كَالشَّامِخَاتِ تَمَنُعًا وَتَرَفُّعَا
وَأَرَادَهُ الْمُسْتَعْمِرُونَ عَنَاصِرًا فَأَبَى مَعَ «التَّارِيخِ» أَنْ يَتَصَدَّعَا

أشار الشاعر في قصيدة أخرى لعوامل تآزر وتعاون أفراد الشعب الجزائري[1]، فيقول:

نَحْنُ فِي هَذِهِ الجَزَائِرِ إِخْوَا نُ جِرَاحَاتِنَا الثَّخِينَةِ «حمرآ»
لُحْمَةُ الضَّادِ وَالعُرُوبَةِ وَالتَّا رِيخِ وَالدِّينِ: آي ربّك كُبْرَى
وَهَوَاهَا وَمَاؤُهَا وَسَمَاهَا وَثُرَاهَا الزَّكِيُّ شِبْرًا فَشِبْرَا

رغم انغماس الشعب الجزائري كافة في الدفاع عن الوطن إلا أن هذا لم يبعده عن ركب العروبة[2]، فقد مثلت ثورة التحرير سفينة نوح التي أنقذت هذا الشعب من خطر الإدماج الذي كاد يسلخ شخصية الجزائر الحقيقية، ونلمس هذا الإحساس بالانتماء العربي في شعر مفدي زكريا الذي لم تخل قصائده من مساندة القضايا العربية ومشاركتها في جميع الخطوب، حيث أعرب عن مشاعره الصادقة تجاه الأشقاء العرب وأبدى اهتماما كبيرا بها قبل اندلاع الثورة التحريرية[3]. بهذا نجده قد أضفى لمسة الوحدة العربية على ديوان اللهب المقدس، فقد خصص فيه جزءا يساند فيه الدول العربية الأخرى باعتبارهم جميعا من أمة الضاد إضافة إلى عملهم تحت راية واحدة هي حب الوطن، أي عروبتهم واشتراكهم في حبه والرغبة في الدفاع عنه كانا كافيين في نظره ليصبحوا إخوة، ومما يؤكد على إيمانه القوي بالوحدة القومية نظمه لقصيدة عن ثورة الريف المشهورة في المغرب الأقصى قبل إتمامه العقد الثاني من عمره، يقول فيها:

---

[1] ينظر بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954 . 1962– ص: 220.

[2] ينظر عبد الله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث– تق: صالح جودت– الدار القومية للطباعة والنشر– روض الفرج– ع: 178– ص: 42.

[3] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية– دار البعث– قسنطينة– الجزائر– د، ط– د، ت– ص: 128.

وَفِي الـمَغْرِبِ الجَبَّـارِ نَاشَـدْتُ وِحْـدَةً سَبَقَتْ بِهَا فِي فَجْرِ عُمْرِي أَقْرَانِي
وَأَحْبَبْـتُ أَوْطَـانِي رَضِـيعًا وَلَمْ أَزَلْ أَغْنَى مَعَ الدُّنْيَا بِأَمْجَادِ أَوْطَانِي
وَهمـت بِأَبْنَـاءِ العُرُوبَـةِ يَافِعًـا أَرَى كُلَّ أَبْنَاءِ العُرُوبَةِ إِخْوَانِي[1]

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات الثلاثة أن الشاعر قد سبق عمره، فحلمه وإيمانه بالوحدة القومية كان أكبر بكثير من سنه الصغير، وظل ينادي بها في شعره من كل منبر يعتليه.

يقول ابن تومرت في قصيدة "**وتعطلت لغة الكلام**"[2]:

يَا أُمَّـةَ العَـرَبِ الكِـرَامِ، كَرَامَـةً لَكِ فِي الجَزَائِرِ، حُرْمَةً وَذِمَام
فِي كُـلِّ أَرضٍ لِلْعُرُوبَـةِ، عِنْـدَنَا رَحِـمٌ تَشَـابَكَ، عِنْـدَهَا الأَرْحَـام
إِنْ صَـاحَ فِي أَرْضِ الجَزَائِـرِ صَـائِحٌ لَبَّتْـهُ مِصْـرُ، وَأَدْرَكَتْـهُ شَـامُ
فِي الـمَغْرِبِ العَـرَبِي، عِـرْقٌ نَابِـضٌ يُذكِيـهِ فِي حَـرْبِ الخَـلَاصِ ضِـرَامُ

يحاول الشاعر من خلال هذه الأبيات التي نظمها في أعماق سجن بربروس إيصال رسالة إلى العرب أينما كانوا وهي أهمية التآزر فيما بينهم وتكوين أمة قوية كالجسد الواحد إذا مرض عضو تداعى له سائر الجسد، فإذا ما حل بإحدى الدول العربية مصاب أغاثتها بقية الدول، فحلم مفدي زكريا باليوم الذي يصبح العرب يدا واحدة لم ينطفئ في السجن بل ازداد نورا بعزيمة الشاعر.

نظم الشاعر قصيدة بعنوان "**إرادة الشعب تسوق القدر**" بمناسبة حوادث **بنزرت** الدامية إثر العدوان الفرنسي[3]، يقول:

---

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية – ص: 128.
[2] مفدي زكريا: اللهب المقدس– ص: 47.
[3] المصدر نفسه– ص: 212.

يَا شَـعْبُ، مَهْمَـا بَاعَـدَتْ بَيْنَنَـا سِيَاسَـةٌ، لَـمْ يَنْقَطِـعْ حُبُـنَـا

الـــرَّأْيُ، إِنْ وَزَّعَ أَفْكَارَنَـــا مَـا زَعْـزَعَ الـتَّفْكِيرُ إِيمَـانَنَا

لَـمْ تُنْسِـينَا الأَحْـدَاثُ أَرْزَاءَنَا فَكَيْـفَ نَنْسَـى اَلَيـوْمَ إِخْوَانَنَـا؟

أَمْ كَيْفَ يَجْفُو المُسْلِمُ المُسْلِمَا؟

وَبَيْنَنَا قُرْبَى، وَجِنْسٌ وَدِينْ!!

تبين هذه الأبيات اهتمام الشاعر بقضايا الدول المجاورة والوقوف بجانبها في الأقراح قبل الأفراح ومواساتها، مع استمراره في التذكير والتأكيد على أهمية التآزر من أجل صد كل سياسات التفرقة ومحاولات زرع الفتن التي يسعى إليها الطامعون، ويشير أيضا إلى تعدد عوامل الاتحاد من عروبة ودين وقربى.. ولعل الشاعر سعى من خلال هذا إلى إزاحة كل ما يفرق بينهم.

المطلب الثالث: الصمود والمواجهة

سر الصمود وأساس التحدي هو تفطن الشعوب التي وقعت تحت قبضة الاستعمار الفرنسي الذي لطالما اغتر بقوته وهيمنته في مختلف المستعمرات – المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة- إلى مخططات الاستعمار وأساليبه الوحشية التي هدفها قتل روح المقاومة وإرادة الحياة في تلك الشعوب وتجريدها من عروبتها وهويتها[1]، فقد اضطلع الشعر بمهمة التنديد بالاستعمار وسياساته فهذه الحقيقة لا ينبغي أن تغيب عن الأذهان، فالشعر كان دائما يقف إلى جانب الشعب يواسيه ويؤازره في كل ما أصابه، وما أكثر ما أصاب الجزائر من ويلات على يد المستعمر[2].

أسدل مفدي زكريا الستار عن جرائم المستعمر في الجزائر، فقد كان لشعره دور مزدوج تمثل الأول في رفع عزيمة الشعب لنيل حريته، أما الثاني فعكس مختلف الفضائع التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في حق الوطن تحت عنوان السلم، فإيمان الشاعر بأحقية كل شخص في التمتع بالحرية

[1] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954 – 1962- ص: 89.

[2] ينظر عبد الله ركيبي: دراسات في الشعر الجزائري الحديث- ص: 38.

التي خلقت معه وعدم وجود قوانين تسمح لأي كان باستعباد الآخرين دفعه للكلام بأعلى صوته والمطالبة بتحقيق العدالة، ورفضه سلب الآخر لأرضه دون وجه حق والتصرف كسادتها واستعباد أهلها الأحرار[1].

أورد مفدي في بعض قصائده مظاهر المعاناة والحرمان التي شهدها الشعب الجزائري في الفترة الاستعمارية حيث انتزعت منهم أملاكهم بالقوة، وفرضت عليهم حياة العبيد على يد عصابة من المغتصبين، فأصبح أبناء الأرض يعانون مرارة الذل والجوع والقهر والظلم في مقابل تمتع المستوطنين بالرخاء والأمان، يقول:

لَـــيْسَ فِي الْأَرْضِ سَـــادَةٌ وَعَبِيـــدُ كَيْفَ نَرْضَى بِأَنْ نَعِيشَ عَبِيدَا؟!

أَمِنَ العَدْلِ صَاحِبُ الدَّارِ يَشْقَى وَدَخِيلٌ بِهَا يَعِيشُ سَعِيدَا؟!

أَمِنَ الْعَدْلِ صَاحِبُ الدَّارِ يعرى وَغَرِيـبٌ يَـحْتَلُ قَصْـراً مُشـيداَ؟!

وَيَـــجُوعُ اِبْنُهَـــا، فَيُعْـــدَمُ قُـــوتاً وَيَنَالُ الدَّخِيلُ عَيْشاً رَغِيداَ؟!

وَيُبِـــيحُ الْـــمُسْتَعْمِرُونَ حِـــمَاهَا وَيَظَلُّ اِبْنُهَا طَرِيداً شَرِيداَ؟![2]

استنكر الشاعر من خلال هذه الأبيات اغتصاب الاستعمار حقوق الشعب الجزائري وممتلكاته دون وجه حق، كما أشار إلى غياب العدالة، فأين هي مما يجري لأرض الجزائر وأبنائها من سلب وتشريد وقتل..؟

إن وقوع الوطن في أيدي عصبة من لصوص الغرب ومعاناة شعبه من الفقر والحرمان والاستعباد والتجهيل خلق إحساسا بالاستياء والغضب في نفس الشاعر، الذي انفجر بقصيدة يوضح للشعب أسباب تواجد هذا الكيان في أرضه، كاشفا عن الجرائم التي ارتكبها طيلة أعوام،

[1] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954 . 1962- ص: 197.

[2] المرجع نفسه- ص: 197.

ولم يقف عند كشف الحقائق فحسب إنما حاول من خلال قصيدته حث الشعب ودفعه لساحة القتال وردع هذا الطاغي[1]، فيقول فيها:

اِتَّقُـــــوا اللهَ فِي الـــــجَزَائِرِ يَا نَا سُ فَقَدْ ضَاقَتْ الْجَزَائِرُ صَبْرَاَ
عَــاثَ فِيهَــا الطُّغَــاةُ عَسْــفاً وَظُلْمَــا وَرَمَاهَا البُغَاةُ جَهْلاً وَفَقْراَ
وَاسْــــتَذَلَّتْ رِقَابَــــهَا فَتَــــرَاهَا وَهِــيَ فِي أَرْضِــهَا تَــجُوعُ وَتعــرَى
وَاسْــــتُبِيحَتْ أَرْزَاقُهَــــا لَــــيْسَ إِلَّا «قَيْصَــرُ» يَــمْلِكُ الــحَيَاةَ وَ«كِسْــرَى»
وَاسْــــتَرَقَتْ نوَابــــهَا لَــــيْسَ إِلَّا ذِمَمٌ كَالدُّمَى تُبَاعُ وَتُشْرَى[2]

اتخذ مفدي زكريا في بعض المواقف دور المرشد، حيث عمد من خلال إحدى قصائده إلى تنبيه الشعب وإرشاده إلى مواطن الداء بأسلوب يغلب عليه طابع الحكمة الثورية، فالشاعر يقول بضرورة المقاومة وعدم السكوت عن هذه الحالة المزرية والرضى بها، فمن وجهة نظره من يرضى العيش في جهالة عليه تقبل التعاسة والارهاق، والإنسان بدون شرفه وحريته الموت أحق به، وفؤاد خال من الشهامة والطموح البتر أولى به[3]، فيقول في هذا الموضوع:

وَمَــنْ يَــكُ فِي ظِــلِّ الــجَهَالَةِ رَاتِعــاً يَظَــلُّ لَــهُ الْإِرْهَــاقُ فِي عَيْشِــهِ سَــهْمَا
وَمَــنْ لَــمْ يَــذُدْ عَــنْ حَوْضِــهِ بِسِــلَاحِهِ يُهْــدَمُ، وَيَضْــحَى مَــجْدُهُ لِلْــوَرَى غَنَمَــا
وَإِنَّ حَيَــــاةً لَــــمْ تَكُــــنْ شَــــرَفِيَّةً تُظَلِّلُهَا حُرِيَّةٌ صِلْ بِهَا الْيَمَا
وَإِنَّ فُــــؤَاداً لَــــمِ يَكُــــنْ ذَا شَــــهَامَةٍ خَفُوقاً عَلَى الـجوزا فَأَوْلَ لَـهُ الْـحَسْمَا

أولى مفدي زكريا "أهمية كبيرة للشباب الجزائري باعتباره مستقبل الجزائر المتحررة والأساس الذي ستبنى عليه البلاد من جديد، وقد نظم قصيدة عام 1932 يخاطب فيها هذه

[1] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954 . 1962- ص: 198.
[2] المرجع نفسه- ص: 198.
[3] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 59.

الفئة، ويحثهم فيها على التكاتف واحتضان قضية الوطن بالدفاع عنه وصد هذا المستعمر، مصورا من خلالها ما آل إليه شباب الجزائر من تجهيل وإذلال على أيدي الاستعمار الذي شوه البراعم وحولهم إلى ماسحي أحذية"[1]، ففي حين ينعم أبناءهم بطيب العيش يضطر أبناء الأرض الحبيبة إلى التخلي عن حقهم في عيش لحظات الطفولة، والانشغال بالعمل، يقول:

شَـــبَابُ الـــجَزَائِرِ وَالْقَلْـــبُ دَامٍ ... أَلَا مِـــنْ مُغِيـــثٍ وَمِـــنْ مُنْجِـــدِ

تَظَـــافَرَتْ الْقَارِعَـــاتُ الشِّـــدَادَ ... وَتَاهَ البَصِـــيرُ مَـــعَ الْأَرْمَـــدِ

وَحَـــاقَ الْـــبَلَاءُ وَعَـــمَّ الْعَـــذَابُ ... وَفِي الجِيدِ حَبْلٌ مِنَ الْمَسَدِ

وَلَيْـــلُ الْـــجهَالَاتِ أَوْدَى بِنَـــا ... إِلَى الْـــمَوْتِ قَسْـــراً وَلَـــمْ نُلْحِـــدِ

فَمَـــا إِنْ تَـــرَى غَيْـــرَ دَاعِـــي الضِّـــلَالِ ... فَمَـــنْ ذِي نِفَـــاقٍ وَمِـــنْ مُلْحِـــدِ

وَمِـــنْ قَـــابِعِينَ بِكَسْـــرِ الْبُيُـــوتِ ... يُسَـــامُونَ كَـــالْعِيرِ وَالْوَتَـــدِ

وَآلَافُ نُـــشَّءٍ لِـــمَسْحِ الْـــحِذَاءِ ... عَلَى كُلِّ مَزْبَلَةٍ شُرَّدِ[2]

لقد دأب على محاربة هذا المحتل وكشف أفعاله الشنيعة الخالية تماما من الإنسانية فلم تشكل آلام وأحزان هذا المستعمَر أي فرق لديه أمام رغبته القوية في تحقيق مصالحه الشخصية وامتصاص ثرواته بأكملها، وبذلك تطرق لجرائم هذا الوحش المفترس حيث صور في قصيدة "**وتعطلت لغة الكلام**" دنو وحقارة هذا العدو ناقلا بعض المشاهد التي عايشها هذا الشعب المغتصب، حيث جرف طوفان الاستعمار، الصغير قبل الكبير والأنثى قبل الذكر، يقول في ذلك:

[1] مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954 . 1962- ص:59.

[2] يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 59، 60.

لَا القَاصِـــرَاتُ، الغَـــافِلَاتُ، كَوَاعِبَـــا ... دِيسَـــتْ قَدَاسَـــتُهَا، وَفُـــضَّ خِتَـــامُ

لَا الـــحَامِلَاتُ، بُطُونـــهَا مَبْقُـــورَةٌ ... ذُبِحَـــتْ أَجِنَّتُهَـــا، وَفُـــكَ حِـــزَامُ...

لَا، وَالْـــمرَاضِعُ عُوِّضَـــتْ أَثْـــدَاؤُهَا ... بِفَـــمِ الْـــمُسَدَسِ، وَالرَّصَـــاصُ فِطَـــامُ

وَالْأُمُّ يُهْتَـــكُ عِرْضُـــهَا، وَفُحُولُـــهَا ... حَـــوْلَ الْفَضِـــيحَةِ شَاخِصُـــونَ قِيَـــامُ

يَا لِلْفَظَاعَـــةِ، مِـــنْ وُحُـــوشٍ جُـــوع ... تَسْـــمُو عَلَـــى أَخْلَاقِهَـــا الْأَنْعَـــامُ[1]

عكست أبيات الشاعر مفدي زكريا "مدى وحشية المستعمر وشناعة أفعاله، حيث صور جرائمه بشكل مفصل ودقيق، ودليل ذلك شمولية اضطهاده لكل الفئات، فلا الفتيات الصغيرات ولا النسوة المتزوجات نجون من هتك الأعراض، وبقر البطون، وما تجاوز حدود المعقول وتعدى معنى الإنسانية قتله للرضع والأجنة التي لم تر النور، يجسد الشاعر في البيت الأخير شراسة المستعمر الذي فاق الحيوانات تعطشا للدماء، وقد وصف مفدي زكريا جنود المستعمر بالوحوش الجائعة"[2].

عزم الشعب الجزائري على مواصلة الكفاح ضد العدو، فقد ثار وصمم غمار المواجهة من أجل عزة الوطن وحماية وعرض، هذا ما نلمسه في قصيدته التي نظمها بسجن البرواقية الموسومة بـ **"إقرأ كتابك"** أذيعت نيابة عن الشاعر من إذاعة **صوت العرب** بالقاهرة[3]، يقول:

خَـــبِّرْ فِرَنْسَـــا يَا زَمَـــانُ بِأَنَّنَـــا ... هَيْهَـــاتَ فِي اِسْـــتِقْلَالِنَا أَنْ نُـــخْدَعَا

وَاسْـــتَفْتِ يَا دِيغُـــولُ شَـــعْبَكَ إِنَّـــهُ ... حَكَمَ الزَّمَانَ فَمَا عَسَى أَنْ نَصْنَعَا

شَـــعْبُ الْـــجَزَائِرِ قَـــالَ فِي اِسْـــتِفْتَائِهِ ... لَا!! لَـــنْ أُبِـــيحَ مِـــنَ الْـــجَزَائِرِ إِصْـــبَعَا

وَاِخْتَـــارَ يَـــوْمَ الْاقْـــتِرَاعِ نُفَمْبَـــرَا ... فَمَضَى وَصَمَّمَ أَنْ يَثُورَ وَيَقْرَعَا[4]

[1] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 43.

[2] عمر زيرق: شعر السجون في الجزائر- مذكرة ماستر- جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- الجزائر- 2011م/ 2012م- ص: 49.

[3] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي- ص: 90.

[4] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 58.

يتطرق الشاعر إلى إبراز التحدي والكفاح عند الشعب الجزائري، فهذا الأخير قرر أن يثور كرجل واحد من أجل وحدة الجزائر أرضا وشعبا، وقبول التضحية بكل غال ونفيس فداء الوطن.

يخاطب مفدي زكريا فرنسا بصوت صارخ مشددا على التنديد فاضحا أعمال العدو، قائلا:

يَا فِرَنْسَـا .. كَفَـى جَهْـلاً فَـإِنَّ لَنَـا ... شَعْباً يَرَى الْمَوْتَ فِي اِسْتِقْلَالِهِ دينَا

حَـرْبُ الْـجَزَائِرِ أَبْقَـتْ فِي دِيَارِكُـمْ ... قَوْمـاً ذِئْبَـا .. وَشُـبَاناً ثَعَابِينَـا

أَبعـد خمـس شـداد ملئـت عجبـا ... دِيغُـول بِالْكَلِـمِ الـْمَعْسُولِ يُغْرِينَـا؟

لَا سِـلْمَ فِي الْأَرْضِ، مَادَامَـتْ قَضِـيَّتُنَا ... لَـمْ تَلْقَى فِي الْأَرْضِ بِالْقِسْـطِ الْـمَوَازِينَا

ثُـرْنَا عَلَـى الظُّلْـمِ لَا نَلْـوِي عَلَـى أَحَـدٍ ... لَا شَـيْءَ فِي الْكَـوْنِ دُونَ الْعِـزِّ يُرْضِـينَا

إن هذه الأبيات أنها تحمل أكثر من معنى. فهي من جهة تؤكد على صمود الشعب الجزائري ومواجهته لأعدائه بكل عزيمة وقوة لأن أحرار الجزائر ثاروا كرجل واحد لا يردعه شيء أمام رغبته في إضرام نار الحرب، ومن جانب آخر تكشف النوايا الخبيثة لهذا المستعمر الهادفة الى تمديد الوجود الفرنسي.

المطلب الرابع: بطولات المظفر وهزائم المعطر

يقول مفدي زكريا في مقدمة الطبعة الأولى لديوان اللهب المقدس: «**هو ديوان الثورة الجزائرية بواقعها الصريح وبطولاتها الأسطورية وأحداثها الصارخة وهو (شاشة تلفزيون) تبرز إرادة شعب استجاب له القدر**»[1]، فالصراع على الساحة الجزائرية مع الدخيل حول البقاء أو الفناء، لم يقتصر على تحرير التراب فحسب، بل تعداها إلى التغيير الجذري الذي مس النظام والعقيدة[2] فالثورة التي تقوم على عقيدة ذات مبدأ صارم لا ترضى إلا بالموت استشهادا أو بحياة

[1] يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص:81.

[2] ينظر المرجع نفسه- ص: 117.

العز والكرامة. فقد دفعت الجزائر ثمنا باهظا من أجل استقلالها حيث قدمت قوافل من الشهداء الأبرار في سبيل تحقيق الحرية.

آمن المناضل الجزائري بضرورة الكفاح والدفاع، وأحقيته في استرجاع كافة حقوقه المسلوبة وتحرير إخوانه الذين استعبدوا، فمثّل الغاية النبيلة التي يفنى من أجلها كل نفيس وإن اِضطر للتضحية بنفسه والإقبال على الموت بكل رحابة صدر، إن كان ذلك يعني استقلال الوطن[1]. كان الوعي بأهمية المقاومة وتحقيق الحرية السبب الأول في ميلاد العديد من الأبطال وتقديم الكثير من التضحيات، وقد سار الشعراء على خطى رجال الثورة وحملوا معهم مشعل الحرية، رغم تواجدهم خلف القضبان الحديدية، وسط ظلمات السجن، فقد خلدوا في قصائدهم المليون ونصف المليون شهيد وشهيدة، الذين سقطوا في ميدان الشرف، وهم قريروا العين بما قدموا لوطنهم، وبما لقوا من نعيم ورضاء عند ربهم[2]. ولعل أبرزهم مفدي زكريا، أحمد معاش، أبو القاسم عبد الله، محمد الأخضر السائحي،.. وقد حظي بعضهم بفرصة الحضور ورؤية أعظم تضحيات شهدائنا الأبرار في ميدان الشرف، تحدث مفدي زكريا في شعره عن أعظم اللحظات التي عايشها سنة 1955 بسجن بربروس، وكان أهمها يوم نفذ حكم الإعدام على شهيد المقصلة أحمد زبانا، حيث تفجرت قريحة الشاعر في قصيدة الذبيح الصاعد أين رسم لوحة فنية لذلك المشهد الذي اكتسح به زبانا قمة المجد والعظمة، واصفا شموخه وشجاعته أمام عادميه وإقباله على الموت، مرسخا ذلك في ذاكرة الشعب أولا والعالم بأسره ثانيا، مسطرا اسمه بحروف من ذهب في صفحات التاريخ،[3] يقول في مطلعها:

---

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا – ص: 117، 118.

[2] ينظر أنيسة بركات درّار: أدب النضال في الجزائر (من سنة 1945– حتى الاستقلال)– المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر– د. ط– 1984م– ص: 123.

[3] ينظر وسيلة بكيس: "تجليات الجسد المعذب في الشعر الثوري الجزائري الشعر السجني أنموذجا ما بين 1954 و1962"– مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية– عد: 4. ديسمبر 2014م– ص: 55، 56.

قَـــامَ يـــَخْتَالُ كَالْـــمَسِيحِ وَئِيـــدَا يَتَهَادَى نَشْوَانَ، يَتْلُو النَّشِيدَا
بَاسِـــمَ الثَّغْـــرِ، كَالْـــمَلَائِكِ أَوْ كَالطِّـــ ـفْلِ، يَسْتَقْبِلُ الصَّبَاحَ الْجَدِيدَا
شَامِـــخاً أَنْفَـــهُ، جَـــلَالاً وَتِيهَـــا رَافِعـــاً رَأْسَـــهُ، يُنَـــاجِي الْـــخُلُودَا
أُشْنُقُونِـــي فَلَسْـــتُ أَخْشَـــى حَـــبْلَا وَاصْلبُونِي، فَلَسْتُ أَخْشَى حَدِيدَا
وَامْثُـــل سَـــافِراً مُـــحَيَّاكَ جَـــلَّا دِي، وَلَا تَلَـــثَّمْ، فَلَسْـــتُ حَقُـــودَا
وَاقْـضِ يَا مَـوْتُ فِي مَـا أَنْـتَ قَـاضٍ، أَنَا رَاضٍ، إِنْ عَاشَ شَعْبِي سَعِيدَا
أَنَا إِنْ مِـــتُّ فَالْـــجَزَائِرُ تَـــحْيَا، حُـــرَّةً، مُسْتَـقِلَّـةً، لَـنْ تَبِيـــدَا[1]

لم يفرض الشاعر إرادته الفنية على الأحاسيس والصور، بل قام فقط بنقل الحادثة نقلا أمينا صادقا[2]، مجسدا إياها في قالب فنّي يعكس إرادة هذا البطل الفولاذية في مواجهة قاتله بابتسامة جدعت أنفه، وزعزعت كيانه، كما تضمنت هذه الأبيات تأثر مفدي بتلك النفس الثائرة في وجه الذل والهوان والقيد، إضافة إلى هذا الموقف الذي يبعث في النفس الفخر والاعتزاز نلمس الحزن والأسى على فقدان ذبيح الثورة.

إن صدق القضية التي احتضنها الشعب وصحة المبدأ الذي انطلقت منه شعلة الكفاح، جعل الثوار غير آبهين بحياتهم، فكان الموت بشرف في ساحة المعركة تاج على رؤوس الشهداء لا يراه إلا من عاش حياة الذل في وجود الاستعمار، فرد أبناء الجزائر كان صريحا في هذه المسألة، وتمثل في استعادة أرضه والقضاء على ذلك الطفيلي الذي استفحل فيها[3]، يقول:

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 118.
[2] ينظر وسيلة بكيس: "تجليات الجسد المعذب في الشعر الثوري الجزائري الشعر السجني أنموذجا ما بين 1954 و1962"- ص: 56.
[3] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 118.

فَـــلَا نَرْضَـــى مُسَـــاوَمَةً وَغُبْنَـــا وَلَا نَرْضَـــى لِسَـــلْطَتِنَا اِقْتِضَـــابَا

وَلَـــنْ نَرْضَـــى شَـــرِيكاً فِي حِـــمَانَا وَلَـــوْ قُسِـــمَتْ لَنَـــا الـــدُّنْيَا مَنَـــابَا

تجاوز المناضل الجزائري حدود الكرم، كان سخيا بروحه ودمه، نبعت هذه التضحية عن عزمه وإصراره على تحقيق النصر المنشود، فلم يثنه شيء عما نوى، فحرية الوطن هي مبتغاه الأول والأخير والثورة هي السبيل للوصول إلى ذلك[1]، يقول الشاعر في ذلك:

وَمَـــنْ كَانَـــتِ الْأَكْبَـــادُ قُـــرْبَانَ ثَأْرِهِ فَهَيْهَاتَ دُونَ النَّصْرِ نِيرَانُهُ تَخْبُو

وَمَـــنْ كَانَـــتِ الْأَرْوَاحُ جِسْـــراً لِـــمَجْدِهِ فَهَيْهَاتَ وَالْأَرْوَاحُ تَرْعَاهُ أَنْ يَكْبُو

بعكس الشعب الجزائري الذي سبر أغوار الحرب من أجل مبدأ مؤمن به، نجد الجيش الفرنسي الذي يمثله جملة من المرتزقة يحارب فقط لأجل المال، فلا تحز نفسه على القتال من أجل النصر لقضية لا تعني له شيئا، فيتهاون في القتال ما أن تسنح له الفرصة في ذلك، أو يختار الاستسلام بمجرد أن تتعرض حياته للخطر، وها هو مفدي زكريا يستهزئ بالجيش الفرنسي في أشعاره، ويؤكد على الهزيمة الساحقة التي ستلحق به خاصة أنه يعتمد على مأجورين[2]، يقول:

لَا تَطْمَعِـي النَّصْـرَ مِـنْ جُنْـدٍ سَـمَاسِرَةٍ أَيُحْرِزُ النَّصْرَ مَأْجُورٌ وَمُرْتَزَقُ

جُنْـــدٌ يُبَـــاعُ وَيُشْـــرَى مِثْـــلَ مَاشِـــيَةٍ يُلْقِـــي السِّـــلَاحَ إِذَا مَـــا نَابَـــهُ الفـــرقُ

رغم الظروف الصعبة التي واجهت جيش التحرير من بساطة الأسلحة ونقص الأدوية.. إلا أن إصراره على تحقيق الحرية تغلب عليها، فكان الإيمان بالنصر المغروس في نفس كل فرد من الشعب يهيّن كل الصعاب، ويحطم كل العقبات، تجلت أهمية الحرية في كل جزائري وجزائرية حيث لبى أبناء الوطن النداء وأقبلوا إلى ساحة المعركة، ولم يمنعهم السن أو الجنس عن ذلك، حيث قاتل

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 118.

[2] ينظر المرجع نفسه- ص: 119.

الشيوخ والشباب، رجالا ونساء جنبا إلى جنب، كل يؤدي واجبه تجاه البلاد[1]، وقد أشاد الشاعر بهذه المشاركة الفعالة التي أثمرت عن استقلال الجزائر:

وَجُيُـــوشٌ مَضَـــتْ يَـــدُ اللهِ تُـــزْ جِيهَا وَتَحْمِي لِوَاءَهَا الْمَعْقُودَا
مِـــنْ كُهُـــولٍ يَقُودُهَـــا الْـــمَوْتُ لِلنَّـــ ـــصْرِ فَتَفْتِكُ نَصْرَهَا الْمَعْقُودَا
وَشَـــبَابٌ مِثْـــلَ النُّسُـــورِ تَرَامَـــى لَا يُبَالِي بِرُوحِهِ أَنْ يَجُودَا
وَشُـــيُوخٌ مُـــحَنَّكِينَ كِـــرَامُ مُلِئَـــتْ حِكْمَـــةً وَرَأْياً سَـــدِيدَا
وَصَـــبَايَا مُـــخَدَّرَاتٍ تُبَـــارِي كَـــاللَّبُؤَاتِ تَسْـــتَفِزُ الْـــجُنُودَا[2]

إلى جانب ما تم ذكره من بطولات للأحرار، لا ننسى دور المرأة الجزائرية في الثورة وصمودها وكذا ثباتها وتحديها لكل أساليب التعذيب والتنكيل في حقها، فقد استطاعت المناضلة الجزائرية أن تثبت وجودها بقوة وبسالة وتضحيتها بأعز ما تملك في سبيل حريتها وعزة بلادها[3]، لقد حظيت نساء الجزائر أيضا بمكانة لا تقل عن الرجال في شعر مفدي زكريا، حيث أشار إلى وعيها بالثورة والتزامها التام بها، وتأتي شهادة الشاعر كدليل قاطع على اندفاعها إلى الجهاد بكل روح وطنية. يقول الشاعر:

شَـــارَكَت فِي الْـــجِهَادِ آدَمُ حَـــوَا ه وَمَـــدَّتْ مَعَاصِمَهَـــا وَزُنُـــودَا
أَعملـــت فِي الْـــجِرَاحِ أُنْـــمُلَهَا اللّـــ ـــدن وَفِي الْـــحَرْبِ غُصْـــنُهَا الْأَمْلُـــودَا
فَمَضَـــى الشَّـــعْبُ بِالْـــجَمَاجِمِ يَبْـــنِي أُمَّـــةً حُـــرَّةً، وَعِـــزّاً وَطِيـــدَا[4]

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا – ص: 119، 120.
[2] مفدي زكريا: اللهب المقدس– ص: 19، 20.
[3] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي– ص:53.
[4] مفدي زكريا: اللهب المقدس– ص: 20.

يبين لنا الشاعر من خلال هذه الأبيات من قصيدة الذبيح الصاعد جهاد ونضال المرأة الجزائرية، وعلى أنها بطلة تدافع بكل ما أوتيت من قوة من أجل تحرير أرضها، بعدما عانت الجهل والظلم والمرض والذل والمهانة، فكسرت القيود واندفعت نحو الكفاح.

نظم الشاعر نشيدا في **أوت 1956** يشيد بموقف المرأة المجاهدة من الثورة، باعتبارها رمزا للجهاد والتضحية في تاريخ الجزائر، تحت عنوان **نشيد بنت الجزائر**[1]، يقول فيه:

أَنَا بِنْـــــــتُ الْـــــــجَزَائِرِ أَنَا بِنْـــــــتُ الْعَـــــــرَبْ
يَـــــــوْمَ نَادَى الْـــــــمُنَادِي وَدَعَـــــــا لِلْكِفَـــــــاحْ
قُمْـــــتُ أَحْـــــمِي بِـــــلَادِي وَتَرَكْـــــتُ الْـــــمُزَاحْ
وَصَـــــــدَقْتُ جِهَـــــــادِي وَغَدَوْتُ الْجنَـــــــاحْ
أَنْـــــــبَرِي لِلْأَعَـــــــادِي وَأُدَاوِي الْجِـــــــرَاحْ

الملاحظ أن الشاعر هنا يتغنى بالأعمال الجليلة للمرأة الجزائرية التي نهضت في وجه الدخيل بكل قوة وعزيمة تدافع جنبا إلى جنب الرجل، خاضت المعارك، أسعفت الجرحى الثوار، استشهدت شامخة الرأس في ساحة الشرف.

كما أثنى على دورها الفعال في تلك الفترة، فاهتمت بالطعام والعلاج وكذا السلاح فلم ترهبها القنابل ولا المسدسات ولم تردعها عن الجهاد، ففاقت الرجال قوة وقدرة على التحمل واستطاعت النضال في عدة مجالات، حيث ساندت الرجال ووقفت إلى جانبهم في وجه الاحتلال[2]، يقول:

[1] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954- 1962- ص: 53.
[2] المرجع نفسه- ص:54.

أَنَا أَرْمِـــــي الْقَنَابِـــــلَ وَالْمُسَـدَسُ جَنْـــــبي
أَنَا أَهْـــوَى الْـــمُنَاضِلَ أَصْطَـفِيـــهِ بِـحُبِـي
أَنَا أَفْـــدِي الْـــمُقَاتِلَ بِعُيُونِـــــي وَقَلْبِـــــي
وَأُنَادِي الْبَوَاسِـــــــــلَ حَطِّمُـــوا غُـــلَّ شَـــعْبِي

ولعل أبرز النساء اللواتي ذاع صيتهن بين صفوف المستعمر، الجميلات الثلاث: **جميلة بوحيرد، جميلة بوعزة، جميلة بوباشة**، اللاتي صدر في حقهن الحكم بالإعدام هذا ما دفع الشاعر إلى الإشادة بالشجاعة التي أبدينها أمام المستعمر[1] قائلا:

وَحَـــقِّ الْـــجَمِيلَاتِ الـــثَّلَاثِ وَبِالَّـــتِي أَجَابَـتْ فَرَاحَـتْ لِلْفِـدَا، تَـهْجُرُ الْـحَذَرَا
سَـــنَثْأَرُ حَـــتَّى يَعْلَـــمَ الْكَـــوْنُ أَنَّنَـــا أَرَدْنَا –فَأَرْغَمْنَـــا– بِإِصْـــرَارِنَا الـــدَّهْرَا

أما الجيش الفرنسي فيصفه الشاعر بأنه مجرد مجموعة من المخنثين ليس إلا، تقودهم شهواتهم للفسق والمجون في عزهم وغناهم، وحين تضيق الدنيا بهم يلجؤن للنهب والسرقة، فليسوا سوى قطيع تقوده الغرائز والملذات:

جَـيْشُ مِـــنَ الْـــمُرْدِ غِلْمَـــانٌ مُـــخَنَّثَة أَحْلَاسٌ يَدْفَعُهَا لِلزَّلَّةِ الشَّبَقُ
فَـــلَا ضَـــمِيرَ عَـــنِ الْفَحْشَـــاءِ يَـــرْدَعُهُمْ إِنْ أَيْسَـــرُوا فَسَـــقُوا أَوْ أَعْسَـــرُوا سَـــرَقُوا

إضافة إلى فسق هذا الاستعمار وانعدام العلاقة التي تربطه بالقضية الجزائرية، فقد خلا من صفات الرجولة واعتبر أقرب إلى الضعف والوهن منه إلى القوة والخشونة، وكان يحلو للشاعر أن يلقبه بالمعطر في العديد من المواقف في قصائده الثورية، فالدرجة التي بلغها من التخنث لم تمكنه

[1] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954- 1962- ص: 56.

من تحمل الآلام والمشقات التي جلبتها الثورة مما جعل هزيمة فرنسا سهلة على أيدي جيش التحرير[1]:

وَقُــلْ لِلْمَــاكِرِينَ بِــهَا: اِسْتَرِيــحُوا فَمَــنْ يَــمْكُرْ بِــهِ يَلْــقَ الْــخَرَابَا
وَلِلْجُنْــدِ الْــمَعَطَّرِ عُــدْ سَــرِيعًا وَعَجِّلْ عَنْ مَعَاقِلِنَا اِنْسِحَابَا[2]

في حين أن الجيش الجزائري كان قويا شامخا في وجه الآلام والأحزان، مستعدا للموت في ساحة الشرف، حمل جميع صفات البطولة والبسالة وقدم فيها دروسا عظيمة، رفع شعار التضحية مقابل حرية الوطن بدل الحياة وسط الذل والهوان، أخضع الصعاب والجراح بقوة جلده حتى أصبحت أمرا طبيعيا لا يدعو للقلق أمام رغبتهم القوية في طرد المغتصبين من أرضهم الطاهرة وتحقيق السلام فيها:

السِّــلْمُ نَــحْنُ رِجَالُــهَا لَكِنَّنَــا شُجْعَانُ يَا دِيغُول لَا نَسْتَسْلِمُ
إِنْ كَــانَ فِي طَــيِّ السَّــلَامِ مَذَلَّــةٌ فَالْــمَوْتُ أَشْــرَفُ لِلْكِــرَامِ وَأَسْــلَمُ

حمل جيش التحرير أو المظفر كما يلقبه مفدي زكريا أحلام وآمال الشعب في غد مشرق، ينعمون فيه بنسائم الحرية التي طال انتظارها[3]:

وَلِلْجَــيْشِ الْــمُظَفَّرِ: صَــلِّ وَحَقِــقْ أَمَــانِي الشَّــعْبِ، قَهْــراً وَاغْتِصَــابَا
وَلِلْعَلَــمِ الْــمُنَوَّرِ: لِح رَفِيعــاً وَدَاعِبْ فِي السَّمَوَاتِ السَّحَابَا![4]

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 121، 122.
[2] المرجع نفسه- ص: 122.
[3] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 121.
[4] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 39.

إن انفجار ثورة التحرير كان وليد رأي سديد وتخطيط محكم من قبل مجلس الثورة الذي تمتع أفراده بالحنكة ورجاحة العقل، فوعيهم التام بالواقع المرير للجزائر وتجربتهم الأليمة أكسبتهم الخبرة، ومنحهم طول المدة القوة على التحمل، يقول الشاعر في هذا الصدد:

يَـــحْدُوهُمْ لِلنَّصْـــرِ مَـــجْلِسُ الثَّـــوْرَةِ أَزْكَانُهُ صَهَرَتْهُمُ الآلَامَ

وَحَبَـــاهُمْ طُـــولُ الْـــجِهَادِ حَصَـــافَةً وَزَكَـــتْ بِـــهِمْ فِي الْـــمِحْنَةِ الْأَعْـــوَامَ

كان للثورة الجزائرية أثر كبير في صفوف الجيش الاستعماري، فالرعب الذي ساد فيه أثّر بالدرجة الأولى على قراراته التي تميزت بالتهور، ويمكن القول أن هذا راجع إلى أن الاستعمار مجرد جيش من الغلمان الهوجاء الخاضعة لشهواتها والتي تتلقى الأوامر من رجل متغطرس محب للحكم بعيد عن كل ما يرتبط بالحكمة، يشير الشاعر في قصائده إلى جو التهور الذي طغى على الجيش الاستعماري:[1]

فِرَنْسَـا أَضَـاعَتْ رُشْـدَهَا يَـوْمَ أَسْـلَمَتْ قِيَادَتَـــهَا ديغـــول يَـــحْكُمُهَا قَهْـــرَا

تُدَحْرِجُـــهُ هِسْـــتِيرْيَا الْـــحُكْمِ لِلْفَنَـــا وَيَدْفَعُـــهُ مَـــسٌّ لِلْجُنُـــونِ إِلَى الْعُسْـــرَى

في واحدة من قصائد مفدي نجده يقف موقف الشامت بما آلت إليه فرنسا بعد أن جارت في الجزائر وبطشت بشعبها، حيث يؤكد على أن ما حل بها كان متوقعا، فالعدالة الإلهية كان لابد أن تتحقق، وكان للمياه أن تعود إلى مجراها الطبيعي، فيقول:

أَمْ هَـــلْ فِرَنْسَـــا أَسْـــرَفَتْ فِي عَسْـــفِهَا فَأَذَاقَهَا عَدْلُ السَّمَاءِ وَبَالَهَا

فَقَـــدَتْ فِرَنْسَـــا رُشْـــدَهَا وَصَوَابَـــهَا وَغَـــدَتْ تُسَـــجِّلُ فِي الْأَنَامِ ضِلَالَـــهَا

ويقول في هذا الباب أيضا:

فَـــاتْرُكْ فِرَنْسَـــا وَهِـــيَ فِي أَحْلَامِهَـــا سَكْرَى يُمَزِّقُ جُنْدُهَا أَوْصَالَهَا

دَعْهَـــا مَـــعَ الْأَيَّامِ تَـــحْصُدْ زَرْعَهَـــا وَذَرِ الزَّمَـــانَ يُعَجِّـــلُ اِضْمِحْلَالَـــهَا

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 122، 123.

المبحث الثاني: الدراسة الفنية لديوان اللهب المقدس.

لطالما مثلت الظروف الصعبة الدافع والحافز لتحقيق العديد من النجاحات والإنجازات على مر السنين، فكم من شخص كانت الأحزان والآلام السبب الأول في تغير وضعه من سيئ لأفضل، وبعد أن كان في أسفل الجبل اكتسح القمة، كما كانت سببا في ميلاد ما لا يحصى من الأعمال الفنية الرائعة في شتى المجالات، ولعل أبرز مثال على ذلك هو انبعاث أجمل وأصدق القصائد الشعرية من أعماق السجن المظلمة، هذا يدفعنا إلى الحديث عن أعمال الراحل مفدي زكريا التي حملت قوة وإرادة وأملا في الحرية رغم تواجد صاحبها في جو يعتم عليه الظلم والألم، حيث تفتحت قصائده الملحمية ونمت وسط مستنقع تنعدم الحياة فيه، وانفجرت من باطن المعاناة والعذاب فسقت الأرواح وروت منها العزائم التي حررت الجزائر، فالقارئ لشعر مفدي زكريا وخاصة القصائد المنظومة داخل السجن يلاحظ جملة من المميزات مسّت اللغة والأسلوب، والموسيقى.. ورغم بساطتها إلا أنه كان لها الصدى القوي في الساحة الأدبية وكذا جعلت لنفسها مكانا في قلوب الشعب الجزائري، وفيما يلي سنتطرق لدراسة أهم الخصائص الفنية لتلك السجنيات.

المطلب الأول:اللغة والأسلوب

تعد اللغة أداة تعبير وجسر تواصل بين الأشخاص ووعاء لحفظ التجارب والذكريات[1]، كما أنها وسيلة لمعرفة العالم باعتبارها تمس جميع جوانب الحياة، ولعل هذا ما جعلها محط اهتمام النقاد منذ القدم، وأول من حمل لواء البحث في اللغة أرسطو وذلك بمناسبة حديثه عن فني الخطابة والشعر، كذلك كان للعرب حظ في دراستها حيث تحدثوا عنها في العصر العباسي وعصور الانحطاط، واستمر البحث إلى ما بعد النهضة أين ازدادت حدّته[2].

[1] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي- ص: 322.

[2] ينظر محمد مصايف: دراسات في النقد والأدب- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- د. ط- 1988م- ص: 45.

يمثل الشعر أكثر المجالات اعتمادا على اللغة، فهو استكشاف دائم لعالم الكلمة، واستكشاف دائم للوجود عن طريقها، حيث يعتبر الوسيلة الوحيدة لغنى اللغة وغنى الحياة على السواء، فلا تقتصر مهمة اللغة هاهنا على تقديم المعاني بدلالاتها المعجمية فحسب، إنما تتمثل وظيفتها الحقيقية في التأثير على مشاعر المتلقي[1]، فالشاعر الحقيقي هو من يملك ناصية اللغة، ولعل التعامل معها بقدرة ومهارة راجع إلى موهبة الشاعر الأساسية في السيطرة على الألفاظ، فأحاسيسه وحدها لا تكفي للتأثير على الحالة الشعورية للقارئ، حيث تلعب الألفاظ دورا كبيرا في عملية الاستجابة؛ أي أن تكاتف الألفاظ المناسبة حتى وإن كانت بسيطة مع المشاعر الصادقة يخلق قصائد لها أثر كبير في نفس المستمع [2]. تضاربت آراء النقاد حول هذا الموضوع بحيث انقسموا إلى مذهبين، فالأول ذهب إلى أن الشعر هو نتيجة بحث وانتقاء الشاعر للكلمات، في حين يرى الآخر أن الألفاظ تتولد تلقائيا لتتناسب وشعوره، ومن مناصري هذا الأخير مفدي زكريا الذي يقول بأن الشعر إلهام "الشعر الحق- في نظري- إلهام لا فن، وعفوية لا صناعة"[3].

عرف عن شعراء الثورة الجزائرية الذين عايشوا تلك الفترة الاستعمارية إلمامهم بعلوم القرآن وأصول الفقه، باعتبارهم خرجي الكتاتيب أو الزوايا، فكان تشبعهم بالثقافة الإسلامية متجليا في أشعارهم[4]، وقد عدّ مفدي زكريا مثالا حيا عن ذلك، وأول ما يلفت انتباه القارئ لشعره تأثره الكبير بالقرآن الكريم، إذ يشكل المنبع الأول الذي يستقي منه الأفكار والصور والألفاظ، وقد اعتمد في توظيفه للفظ القرآني على أسلوبين:

[1] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي- ص: 322، 323.

[2] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 364.

[3] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 7.

[4] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي- ص: 327.

1. توظيف اللفظ والمعنى معا:

اعتمد مفدي في نسج قصائده على أخذ معاني بعض الآيات القرآنية للتعبير عن فكرة أو تجسيد مشهد ما، كما أدرج بعض الألفاظ والعبارات التي وردت في تلك الآيات، وقد أضفى ذلك الاقتباس لمسة إسلامية على شعره، إن استقاء الشاعر من كتاب الله عز وجل دليل واضح على مكانته السامية في نفسه وكذا تعلقه الشديد به، يقول في إحدى القصائد التي تطرق فيها للحديث عن الوحدة المغاربية[1]:

كَفَــرَ الْأُلَى قَــالُواْ الشَّــمَالُ ثَلَاثَــةٌ وَدَعَــــوْاْ إِلَى إِذْلَالِـــــهِ بِالنَّـــــارِ

نَصَّبُوا العصّى عَلَى الْـحُدُودِ سَـفَاهَةً وَسَــــعَواْ إِلَى تَوْزِيعِـــــهِ لِضِـــــرَارِ

وَالْــمَغْرِبُ الْعَرَبِــيُّ شَــعْبٌ وَاحِــدٌ مَــلَءَ الْعُــرُوقَ، دَمُ الْعُرُوبَــةِ جَــارِي[2]

استعار الشاعر معنى هذه الأبيات من القرآن الكريم بدليل قوله تعالى:﴿**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[3]، معنى الآية الكريمة هو التثليث لشيء هو حقيقة مفرد، والحكم على من يقول به بالكفر، حسب وجهة نظر الشاعر أن المغرب العربي واحد، ومن يشك في ذلك كمن يشك في وحدانية الله. ومن الألفاظ التي استعان بها في بناء أبياته: **كفر، قالوا، ثلاثة، واحد**. وعمد الشاعر في مواضع أخرى إلى الاستيحاء الحرفي للآية مع توظيف بعض الألفاظ في آن واحد، ومن أمثلة ذلك قصيدة نظمها بمناسبة تدشين دار ابن باديس للطلبة بقسنطينة دعا فيها إلى الجهاد مشيرا إلى الثواب وراء ذلك[4]، قائلا:

---

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 365.

[2] المرجع نفسه- ص: 366.

[3] سورة المائدة- الآية: 73.

[4] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 366.

مَــنْ يَشْــتَرِي الْــخُلْدَ إِنَّ اللهَ بَائِعُــهُ فَاسْتَبْشِـرُوا وَأَسْـرِعُوا فَـالْبَيْعُ مَـحْدُودُ

أكسب هذا البيت طابعا تجاريا دعا من خلاله إلى شراء الجنة بالتخلي عن ملذات الدنيا، وحجة هذا البيت من الآية الكريمة قوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[1]، ومن الألفاظ المستعملة في البيت نجد (يشترى، بائعه، فاستبشروا)، وتقابلها في الآية الكريمة (اشترى، فاستبشروا، بائعكم).

ويقول الشاعر أيضا من نفس القصيدة:

مَـنْ يَكْنِـزُ الْـمَالَ لَـمْ يَسْـعَدْ بِـهِ وَطَنـاً وَيلمـــه فَهُـــوَ فِي الْأَمْـــوَاتِ مَعْـــدُودُ

جُــودُوا قَبْــلَ أَنْ تُكْــوَى الْــجِبَالُ بِــهِ الْمَالُ يَفْنَى وَيَبْقَى الْمَالُ وَالْجُودُ

حمّل الشاعر هذين البيتين معنى الآية الكريمة، قوله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[2]، كما استعان ببعض الألفاظ للتعبير عن دعوته في التخلي عن كل ما تحمله الدنيا من فان مقابل تحقيق الاستقلال للوطن، ومن بين ما تم توظيفه في هذين البيتين: **من يكنز المال، تكوى الجباه به** وما نجده في الآية: **والذين يكنزون الذهب والفضة، فتكوى بها جباههم.**

[1] سورة التوبة– الآية: 111.

[2] سورة التوبة– الآية: 34.

2.توظيف اللفظ القرآني دون مضمونه:

كان تأثر الشاعر بالقرآن الكريم في هذه الطريقة أقل من السابقة، حيث اكتفى هنا بأخذ الألفاظ دون معاني الآيات، وقد اعتمد هذا الأسلوب في معظم قصائده الشعرية التي منح الثورة من خلالها طابع القدسية، من خلال استخدام ألفاظ دينية في التعبير عن الأحداث سواء التي تعلقت بالثورة الجزائرية أم بغيرها[1]، يقول في وصف المجاهدين:

بِنَاشِـــــئَةٍ هُنَـــــاكَ أَشَـــــدُّ وَطْئـــــاً وَأَقْوَمُ مَنْطِقاً وَأَحَدُّ نَابَا

اقتبس مفدي هذا البيت من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾[2]، حيث استعمل اللفظ القرآني لخدمة معنى آخر، فالآية الكريمة تشير إلى قيام الليل بالنسبة للمتعبد[3]، غير أن الشاعر أكسب اللفظة معنى الجهاد.

وفي قصيدة أخرى تحدث الشاعر عن تقاعس العرب عن نجدة فلسطين الأبية مستعينا بألفاظ قرآنية:

وَفِي سَـــــكْرَةٍ ضَـــــيَّعُوا عِزَّتِـــــي وَلَـــــمْ يُغْـــــنِ عَنِّـــــي سُـــــلْطَانِيَه

من قوله تعالى:﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾[4]

ويقول أيضا:

فَـــأَقْتَصُّ مِـــنْ قَـــوْمِ مُوسَـــى غَـــداً وَآخُـــذُهُـــمْ أَخْـــذَةً رَابِـــيَـــه

من قوله تعالى:﴿ **فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً** ﴾[5]

---

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 368.

[2] سورة المزمل- الآية: 6.

[3] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي- ص: 329.

[4] سورة الحاقة- الآية: 28، 29.

[5] سورة الحاقة- الآية: 10.

وَلَـــــنْ يُـــــخْلِفَ اللهُ مِيعَـــــادَهُ وَلَا رَيْـــبَ سَـــاعَـــتُـــنَـــا آتِـــيَـــه

من الآيتين: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1]

﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾[2]

وفي حديثه عن الثورة بعد أن حققت انتصارات كثيرة معنوية وعسكرية سنة 1957[3]، يقول:

وَالـــزَّرْعُ أَخْـــرَجَ فِي الْـــجَزَائِرِ شَـــطْأَهُ فَمَضَـــى وَهَـــبَّ إِلَى الْـــحَصَاد كِـــرَامُ

مستعينا بآية من القرآن الكريم:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4]

تطرق مفدي زكريا في حديثه عن الثورة إلى وصف الشعب الجزائري، الذي زلزل بثورانه فرنسا وغير نظامها، قائلا:

وَزَلْـــزَلَ مِـــنْ صَيَاصِـــيهَا فِرَنْسَـــا وَأَوْقَـــعَ فِي حُكُومَتِهَـــا اِنْقِـــلَابَا

نسج مفدي بيته هذا بألفاظ من القرآن، قال تعالى:﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾[5]

---

[1] سورة الحج- الآية: 47.

[2] سورة الحج- الآية: 7.

[3] يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 370.

[4] سورة الفتح- الآية: 29.

[5] سورة الأحزاب- الآية: 26.

اهتدى الشاعر إلى توظيف اللفظة المناسبة التي تعكس لهيب الثورة داخل نفوس أبناء الوطن ككلمة "**تفور**" في البيت الآتي:

وَفِي وَاحَتِنَـــــا ظِـــــلٌّ ظَلِيـــــلُ تَفُـورُ بِـــهِ نَـــوَاعِـرُهَـا حـبَـــابَـا

استقاها من قوله تبارك وتعالى:﴿ **إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ** ﴾[1]

جاءت لفظة تفور في القرآن الكريم بمعنى الغليان والهيجان، في حين أرجعها الشاعر إلى النبع والانتشار[2].

وعندما يتحدث عن جيل الثورة، وعن نيرانه ورصاصه ورأيه السديد، يقول:

فَرَضْـــــنَا إِرَادَتَنَـــــا الْفَارِعَـــــه وَلَـــمْ تَـــخْبُ نِيرَانُنَـــا الدَّالِعَـــه

وَصُـــــغْنَا مَصَـــــائِرَنَا بِالرَّصَـــــا صِ وَبِالـــرَّأْيِ وَالْـــحُجَّةِ الْقَاطِعَـــه

وَتَـــمَّتْ بِـــهَا كَلِمَـــاتُ الْإِلَـــهِ الَّـــتِي وَقَعَتْ بِاسْمِـــهَـــا الْـــوَاقِعَـــة

فالواقعة هي الثورة التي اندلعت باسم كلمات الله (باسم الجهاد) لكن الذي أتم تلك الكلمات هو النيران والرصاص، والرأي القاطع السديد، واقتبس الشاعر أبياته من كلام الله تعالى:﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[3]

﴿ **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ** ﴾[4]

يمثل الاقتباس من القرآن الكريم الخاصية الطاغية على شعر مفدي زكريا، فلا يخلو تقريبا من ألفاظ وتراكيب ومعاني قرآنية، مع الاختلاف في أسلوب توظيفها إما باستيحاء الآية وأخذ بعض

---

[1] سورة الملك- الآية: 7.

[2] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي- ص:328.

[3] سورة الأنعام- الآية: 115.

[4] سورة الواقعة- الآية: 1، 2.

الكلمات أو الاستعانة بالكلمات فقط دون المعنى، فأحيانا يستخدمها الشاعر للتعبير عن معاني متعددة.

المطلب الثاني: خصائص اللغة والأسلوب في شعر مفدي زكريا

خصائص اللغة

الدقة:

تحمل لغة مفدي زكريا دلالات معجمية دقيقة، فكل لفظة تؤدي المعنى المطلوب دون الاضطرار إلى الاستعانة بألفاظ لمعان لم توضع لها، وهذا راجع لتمكن الشاعر من اللغة، ومن الصعوبة الاتيان بأمثلة عنها، لأنها تطغى على كل أشعاره وبالتالي يعد هذا الأخير دليلا على ذلك[1].

الجرس الموسيقي:

يمتاز شعر مفدي زكريا بالجرس الموسيقي الصاخب الذي يتناسب ومضمون القصيدة، يظهر ذلك من خلال حروفها وصيغها الصرفية[2]، فالجرس هو سيطرة صفة صوتية معينة على الأذن كالخفوت والشدة.. وهذا ما نلمسه في قصيدة **زنزانة العذاب** التي صور فيها الشاعر حرقته وشوقه لأيام الصفاء والأحبة، يقول:

وَرُبَّ نَــجْوَى كَــدُنْيَا الْــحُبِّ الدَّافِئَــةِ قَدْ نَامَ عَنْهَا رَقِيبِي لَيْسَ يَسْتَرِقُ

عَـادَتْ بِـهَا الـرُّوحُ مِـنْ سَـلْوَى مُعَطَّـرَةً فَالسِّجْنُ مِنْ ذِكْرِ سَلْوَى كُلُّهُ عَبَقُ[3]

---

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 371، 372.

[2] ينظر المرجع نفسه- ص: 372.

[3] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 26.

ساهمت ظلمة السجن، سكون الليل، إطباق الصمت على تحرير مكنونات الشاعر بمناجاة حبيبته بصوت هامس صامت نتيجة لهفته للقائها، بدليل توظيف حروف الهمس وهي (السين، الشين، الحاء)[1].

ويقول أيضا من نفس القصيدة:

تَغْـــرُبُ الشَّـــمْسُ فِي مِلَاءَتِـــهَا سِرَّينِ أَشْفَقَ أَنْ يُفْشِيهِمَا الشَّفَقُ[2]

يتبين لنا في هذا البيت استعمال حروف الهمس التي تكررت أكثر من مرة في بيت واحد (السين مرتين، الشين أربع مرات)، وتتابع ثلاث كلمات في عجز البيت ورد فيها حرف الشين (أشفق، يفشيهما، الشفق) فالشاعر هنا يناجي من سكنت فؤاده من جهة، ومن جهة أخرى يصر على عدم البوح بالسّرّين[3].

القوة والفخامة:

كان للثورة الجزائرية "أثر كبير على شعر مفدي زكريا، الذي أكسب كلمات قصائده ملامح المقاومة والنضال والصمود وكذا التضحية وهذا ما جعلها تكتسي ثوب القوة والفخامة، فاللفظة ذات رنين وجلبة قوية تأسر السامع، فإذا كانت ألفاظ أبي تمام تشبه رجلا بأسلحتهم، على ظهور خيولهم، فإن ألفاظ شاعر الثورة في قوتها وحدتها كمثل الصخور الصلبة في الجبال يتخذها الثوار عرينا لهم"[4]. يقول الشاعر:

مَضَـتْ كَالشُّـهُبِ وَانْـحَدَرَتْ شَـظَايَا تلهّـــب فِي دجنتهَـــا اِلْتِهَـــابَا

وَثَبْنَـــا كَالْكَوَاســـرِ وَاتَّـــخَذْنَا إِلَى اِسْـــتِقْلَالِنَا الْأَرْوَاحَ طَرِيقَـــا[5]

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 310.

[2] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 26.

[3] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 310.

[4] المرجع نفسه- ص: 308.

[5] المرجع نفسه – ص: 373.

وفيما يخص الصلابة والصمود اللذان جسدهما الشاعر في البيت التالي الموحي عن الجزائر الرافضة قوله:

أَرْضُ الْـــجَزَائِرِ، وَالسَّـــمَاءُ، تَـــحَالَفَا فَاخْتَطَّ حِلْفَهُمَا النَّجِيعُ الْأَحْمَرَ![1]

ومن وقع الألفاظ التي تحدث بها مفدي عن السلاح قوله:

وَتَكَلَّـــمَ الرَّشَـــاشُ جَـــلَّ جَلَالُـــهُ فَاهْتَزَّتِ الدُّنْيَا، وَضَجَّ النَّيرُ

وَنَزَلَـــــتْ آيَاتُـــــهُ لـــــهَابَةً لَوَاحَة، أصغي لَهَا الْمُسْتَهْتِرُ[2]

يعتبر الأسلوب مرآة عاكسة لهوية المبدع، فكل شخص يمتلك صفات تميزه عن غيره، بعبارة أخرى كل فرد له بصمته الخاصة التي تعرّف به، مثلا في دنيا الشعر كل شاعر له علامات تدل عليه، وقد يختلف الشعراء في التعبير عن الأمور، وكذا في استخدامهم للغة في بناء القصائد، وهذا راجع لتنوع الشخصيات وتباين الأفكار والأذواق، يقول **ريتشاردز** في هذا الصدد:" **الطريقة التي يستعمل بها الشاعر الألفاظ هي سر الشاعر نفسه، ولا يستطاع تعلمها، فالشاعر يستطيع أن يستعمل الألفاظ استعمالا ناجحا، ولكنه لا يدري كيف تتم هذه العملية**"[3]، إن المقصود هنا بالطريقة التي يستعمل بها الشاعر الألفاظ، جوهر الأسلوب، وذهب أيضا **علي جواد الطاهر** بقوله:" **أن كل كاتب يذيع بالطريقة التي يستعمل بها اللغة شيئا من روحه وعاداته وقابلياته وميوله... والكتابة المبدعة إيصال من خلال الإلهام، أنها النفس تنفذ إلى الخارج، ولا يستطيع كاتب مبدع أن يبقى متخفيا**"[4]، فالتطرق للأسلوب يقتضي الولوج إلى ما هو خاص بالشاعر، انطلاقا من ذلك يمكننا القول أنه ملكة لا يشترك فيها اثنان. وفيما يخص الشاعر مفدي زكريا

---

[1] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 115.

[2] مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي- ص: 342.

[3] يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 374.

[4] علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي- ص311- نقلا عن: يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 385.

فأسلوبه عربي صميم، يعتز في أفكاره وشعوره بالقومية العربية، وقد كان لعبارات النص المتجلجلة دور واضح بحيث يقدمها للقارئ في صورة مغرية تتناسب معه.

خصائص الأسلوب

القوة والجزالة:

تتمثل جزالة الكلام في قوة التراكيب وإحكام بناء الجمل، والجزالة حسب ما ذهب إليه أبو هلال العسكري في قوله: **"أما الجزل والمختار من الكلام فهو الذي تعرفه العامة ولا تستعمله في محاوراتها"**[1] بمعنى هو الكلام السهل الممتنع، فهو جلي لا يعتريه الغموض يفهمه العامة وفي نفس الوقت يصعب عليهم استعماله نتيجة عمقه، وهذا ما نجده في شعر مفدي زكريا فبناء كلامه محكم متماسك، وفي جمله ترابط وفي ألفاظه تلاحم، جمله قصيرة محتواها واضح[2]، لا يحتاج لبذل جهد كبير من القارئ في فك تركيبه النحوي والمعنوي لإدراك المعنى، حتى لا يقع في نوع من الخلخلة والارتباك، فشعره جمع بين ثلاث صفات القوة، العمق والوضوح، وما يؤكد ذلك الأبيات الآتية من قصيدة **إلى أغادير الشهيدة**، بقوله:

اِضْـطَرِبْ يَا بَـحْرُ، وَاِخْفِـقْ يَا فَضَـآ... وَاحْتَدِمْ يَا خَطْبُ، وَانْزِلْ يَا قَضَا...

وَارْجِفِـــــي يَا أَرْضُ، أَوْ لَا تَرْجِفِـــــي أَنَا فِي الْـــــمِحْنَةِ، لَا أَدْرِي الْبُكَـــــا

وَاخْسِـــــفِي يَا دَارُ، أَوْ لَا تَـــــخْسِفِي أَنَا مَنْ عَلَّمَهُ الْمَجْدُ الْبِنَا

أَنَا كَـــــــالْأَطْلَسِ، فِي مِنْعَتِـــــــهِ لَمْ أَزَلْ أَصْرُخُ فِي وَجْهِ الْبَقَا[3]

الأصالة:

يغلب على شعر مفدي زكريا العراقة وتغنيه بالروح العربية، فأسلوبه عربي أصيل، بعيد عن اللهجات العامية والثقافات الأجنبية، على الرغم من فصاحة لغته إلا أنه آثر استخدام ندرة من

[1] يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 375.

[2] ينظر المرجع نفسه- ص: 375.

[3] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 143.

الألفاظ العامية، مشيرا إليها بوضعها بين قوسين ومعلقا في الهامش عن أصلها الدارج أو الأجنبي، لم يكن توظيف الشاعر لتلك الألفاظ بدافع الحاجة وإنما رغبة منه في تعامل الجماهير بها إضافة إلى أنه يعكس نفسية جماهير الثورة وحاملي اللواء من الأوساط الشعبية[1].

نظم مفدي زكريا بمناسبة خذلان المنظمة الدولية لقضية الجزائر سنة 1957، قصيدة يتهجم فيها على المنظمة ممجدا السلاح، رافضا أسلوب الليونة والضعف يقابله البديل القوي النار والصفائح[2]، قائلا:

وَبِــلَادُنَا بِيَــدِ (الكــلاص) خَلَاصُــهَا هَيْهَاتَ يُجْدِي (مَجْلِسٌ)، وَخِصَامُ[3]

تم ذكر كلمة **"كلاص"** في الهامش على أنها كلمة أجنبية شاع استعمالها، وهي الخزان الذي تنطلق منه القذيفة من البندقية، يمكن القول أن هذه اللفظة متداولة بين أعضاء جيش التحرير من خلال تعاملهم بالسلاح[4].

ففي صدد الحديث عن الألفاظ العامية نظم مفدي نشيدا كاملا بلهجة عامية قريبة من الفصحى بسجن البرواقية، وهو نشيد جيش التحرير الوطني يردده الجنود في ساحة القتال والذي جاء كالتالي:

هَذِي دمَانَه الغَالية الدفاقه

وَعَلَى الْجِبَالِ علامنا خَفَاقَه

وَلِلْجِهَادِ أَرْوَاحنَا، سَبَاقَه

جَيْشُ التَّحْرِيرِ احنَا.. مَانَاشْ (فَلَاقَه)[5]

---

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 176.

[2] ينظر مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي- ص: 342.

[3] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 46.

[4] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 377.

[5] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 69.

شيوع الأسماء والأعلام:

تفرد مفدي زكريا بصفة أسلوبية تجلت في شعره الثوري بشكل خاص، تمثلت في الحضور القوي للأسماء والأعلام في قصائده من أسماء ساحات وجبال ومدن وقرى، ثوار، شهداء...، وقد حظيت الأماكن المرتبطة بالثورة التحريرية بجزء كبير منها، فكان ذكر ساحات القتال، والجبال التي احتمى بها المناضلون، واتخذوها حصونا منيعة لهم، يعد مثل هذا التوظيف طبيعيا خاصة في الشعر الثوري لأنه يقوم أساسا على تمجيد الثورة والدفاع عنها وتأكيد مصداقيتها، فشاعر الثورة ألم بذكر كل ما له يد في الثورة دون المرور على أي شيء وهذا ما سيتم تفصيله[1].

أسماء الجبال: الجبال التي مثلت رمزا من رموز النضال والمقاومة نجد: **جرجرا، شليا، شلعلعا، وارشنيس** والتي جذبت اهتمام الشاعر لها فوظفها في قوله:

هَـذِي الْـجِبَالُ الشَّامِـخَاتُ، شَـوَاهِدُ سخرت، بَيْنَ مَسْخِ الْحَقَائِقِ وَادَّعَى
سَـلْ جرجـرا تُنَبِئُـكَ عَـنْ غَضَبَاتِـهَا وَاسْتَفْتِ شليا لَحْظَةً وَشَلَعْلَعَا
وَاخْشَـعْ بِوَارْشَـنِيسَ إِنَّ تُرَابَـهَا مَا اِنْفَكَ لِلْجُنْدِ الْمُعَطَّرَةِ مَصْرَعَا[2]

أسماء الأماكن: أولى مفدي أهمية كبيرة لمدن الجزائر قاطبة فلم يقلل من شأن منطقة ويرفع من أخرى، ونجده في إحدى سجنياته يذكر عددا من مدن الجزائر وبعض الأماكن الشهيرة، التي رسخت صورتها في ذهنه، يقول:

وَسِرْتَا وَمَا سِرْتَا سِوَى مَشْرَعِ الظِّبَى وَمَرْعَى الظِبَآ، سَلْنِي.. فَإِنِّي بِهَا أَدْرَى
وَ يَا جَبَلَ الوَحْشِ الضَّحُوكِ، أَلَمْ تَزَلْ كَمَا كُنْتَ، مُخْضَلَّ الجَوَانِحِ.. مُخْضَرَّا؟

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 379، 380.
[2] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 57.

وَيَا سَـــاكِنِي وَهْـــرَانَ بِاللهِ خَـــبِّرُوا.. أَلَمْ تَتْرُكُـوا لِلنَّـاسِ، دُونَكُـمْ فَخْـرَا؟؟
وَيَا سَـاحَةَ الطَّحْطَاحَـةِ اِصْـطَبِغِي دَمـاً وَكُونِي بِسفر الْمَجْدِ، فِي حَرْبِنَا، طَغْرَآ
وَقِـفْ بِـي عَلَـى رَوْضِ الْـوَرِيطِ وَنَبْعِـهِ وَمُنْحَدَرِ الشَّلَالِ، أَسْتَلْهِمُ النَّهْرَا[1]

أسماء الأنهار والوديان: إن حب الشاعر الكبير لوطنه وثورته دفعه إلى التغني بكل ما تعلق بها مهما كان صغيرا أو كبيرا، فقد شكل كل شيء متعلق بالثورة في نظره أمرا ينبغي احترامه وتمجيده، بما في ذلك الأنهار والوديان التي ساهمت بشكل ما في تحقيق الاستقلال للبلاد، إلى جانب حملها ذكريات الكفاح العظيمة والأليمة، يقول:

وَتعلـــم التَّـــامِيز مِـــنْ أَبْنَائِهَـــا وَالسّـين دَرْسـاً فِي السِّيَاسَـةِ مُقْنِعَـا[2]

أسماء الشخصيات: كان لأسماء الشخصيات حضورها القوي أيضا في شعره، فلم يغفل عن ذكر أبطال الجزائر وتخليد ذكراهم، أو حتى أعدائه بالاستهزاء بهم وإعلامهم بقرب الهزيمة، كذلك نجد شخصيات ارتبطت أسماؤها بالنضال والكفاح وأخرى ارتبطت بالظلم والقهر، يقول:

تَقَمَّـصَ غَانـدِي فِي عُـرُوقِ شَـبَابِنَا وَعِفْنَا رَغِيفَ الذُّلِّ، مِنْ يَدِ جوعَانِ
نَـذَرْنَا: نَصُومُ الـدَّهْرَ، أَوْ يطهر الْـحِمَى وَتُنْصَـفُ فِي التَّـارِيخِ ثَـوْرَةُ مُقْرَانِـي
وَتسـمننَا الْأَحْجَـارُ.. نَقْضِـمُ صَـخْرَهَا وَنَبْلَعُ –إِنْ جُعْنَا– شَعَالِيلَ نِيرَانِ
وَإِنْ صَامَ غَانِدِي فَانْحَنَى جُورج صَاغِرَا فَدِيغول أَعْمَى.. فِيهِ مَسٌّ مِنَ الْجَانِ[3]

[1] مفدي زكريا: اللهب المقدس– ص: 262.
[2] المصدر نفسه– ص: 54.
[3] المصدر نفسه– ص: 269، 270.

المطلب الثالث: الصورة الشعرية

يمثل الشعر لوحة فنية يكشف مزيج ألوانها الأحاسيس القابعة في أعماق الشاعر، والتي جسدها في صور سحرت عقول المتلقين، وقد أكد الشعراء القدامى ذلك من خلال قصائدهم التي أبحروا بها في فضاء الخيال الواسع، انتقالا من مشهد لآخر.

"إن مصطلح الصورة الشعرية لم يكن متداولا بين العرب القدامى، بل راج مفهوم آخر هو التصوير، ينطبق الأمر كذلك على النقد العربي القديم الذي تناولها تناولا تعليميا جافا لا يتعدى الوقوف بها عند بعض الأدوات البلاغية لبناء الصورة"[1]، ومن آراء ونظريات النقاد والدارسين لهذا المصطلح بالخصوص **عبد القاهر الجرجاني** في قول له: **"ومعلوم أن سبيل الكلام التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب.."**[2] وقد أشار إلى أهمية الجانب النفسي في نقد الصورة وتحليلها، وفي العصر الحديث أخذت الدراسات النقدية العربية منحى آخر أكثر عمقا في موضوع الصورة باعتبارها مصطلحا نقديا، بمساهمة الاتصال الثقافي بين العرب والغرب، معتمدين في ذلك على التعريفات الغربية للصورة، منها تعريف **برنار قراسي Bernard Grasset**: **" أنها استحضار مشهد من الطبيعة أو من حقيقة الإنسان، إنها إجمالا ربط الاهتزازة العاطفية التي يريد الفنان أن يولدها في محاولة لمنافسة الأشياء وهي نداء إلى العام من أجل الإحساس بالخاص.."**[3]، كما يعرفها **بيار ريفردي Pierre Reverdy**: **" بأنها إبداع ذهني صرف، وهي لا يمكن أن تنبثق من المقارنة وإنما تنبثق من الجمع بين حقيقتين واقعيتين تتفاوتان في البعد، قلة وكثرة... ولا يمكن إحداث صورة بالمقارنة بين حقيقتين واقعيتين بعيدتين لم يدرك ما بينهما من علاقات سوى**

---

[1] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنيّة 1925-1975- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط 2(مزيدة ومنقحة)- 2006م- ص: 425.

[2] مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي- ص: 373.

[3] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975- ص: 422.

العقل"[1]، فالصورة إبداع ذهني يرتكز على الخيال، يجمع بين حقيقتين إحداهما بعيدة عن المجال الحسي والأخرى تدرك بالحواس، ومن النقاد العرب يعرفها **عزالدين إسماعيل** بأنها: **"تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع"**[2]، فالمقصود هنا أن الصورة تعتمد على مخيلة الشاعر والواقع ما هو إلا فكرة أو شعور بحيث يعمد الشاعر إلى أخذ القارئ إلى ما هو أبعد من الواقع.

ترتكز الصورة الشعرية على الجانب الدلالي أو المعنوي، وكذا الجانب النفسي، فهي لا تقتصر على التعبير عن المعنى فقط بل تتعداها إلى توظيف نفسية الشاعر وما يعايشه دون الخروج عن هذه الحالة. ولعل هذا ما جسده شعراء الثورة الجزائرية في أشعارهم، نجد على رأسهم شاعر المقاومة مفدي زكريا[3].

كان لمشهد تنفيذ حكم الإعدام على شهيد المقصلة أحمد زبانة أثر كبير في نفس الشاعر، وقد انعكس ذلك في قصيدة الذبيح الصاعد التي يقول فيها:

قَـــامَ يـــخْتَالُ كَالْـــمَسِيحِ وَئِيـــدَا ... يَتَهَـادَى نَشْـوَانَ، يَـتْلُـــو النَّـشِيـدَا

بَاسِـــمَ الثَّغْـــرِ، كَالْـــمَلَائِكِ أَوْ كَالطِّـــ ... ـــفْلِ، يَسْـــتَقْبِلُ الصَّـــبَاحَ الْـــجَدِيدَا

شَامِـــخاً أَنْفَـــهُ، جَـــلَالاً وَتِيهَـــا ... رَافِـعـاً رَأْسَـــهُ، يُـنَـاجِـي الْـخُلُـودَا

رَافِـــلاً فِي خَلَاخِـــلِ زَغْـــرَدَتْ تَمْـــ ... ـــلَأُ مِـــتتنْ لَحْنِهَـا الْفَضَـاءَ الْبَعِيـدَا

حَالِـــمَاً كَـــالْكَلِيمِ كَلَّمَـــهُ الْمَجْـــ ... ـــدُ فَشَـدَّ الْجِبَـالَ يَـبْغِي الصُّعُـودَا[4]

---

[1] يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 318.

[2] المرجع نفسه- ص: 318.

[3] ينظر المرجع نفسه- ص: 320.

[4] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 17.

الشاعر هنا أعاد إحياء الحادثة المأساوية بأدق تفاصيلها وجعل القارئ يعيش اللحظة قلبا وقالبا، مصورا بطولة زبانة المتجلية في منح روحه للموت بصدر رحب، مطمئنا لمصيره متبعا خطى المسيح، يتهادى في سيره، يردد النشيد بكل فخر، راسما البسمة على وجهه، مستقبلا صباحا جديدا، شامخا أنفه جلالا وتيها، موقنا بمنزلته الكريمة عند الله عز وجل، تاركا بصمته في ذاكرة التاريخ فداء للوطن.

تحدث مفدي زكريا عما شهده في سجن بربروس، فقد عاش هذا المشهد المؤلم بكل كبيرة وصغيرة، فالشاعر يقدم للقارئ صورة مركبة تنم عن تكاثف واتحاد أجزاء صغيرة مع بعضها البعض حتى تعطينا لوحة فنية أو صورة موحية، فهي لا تبدي الملامح فحسب، وإنما تغوص في أعماق الحدث.[1]

شبه الشاعر المعدم زبانة بالمسيح لاشتراكهما في القدر المحتّم، وكذا شجاعة كل منهما في الإقبال عليه. حمل لفظ المسيح جانبين متناقضين يندرج الأول في إطار الظلم، الاضطهاد، الوحشية، أما الثاني فيعكس الجانب المشرق المتمثل في الرضا والسعادة وما سيثمر عن الموت ثواب وشهادة ومكانة رفيعة إلى جانب تحقيق الانتصار للهدف النبيل الذي سعى إليه كل من المسيح (السلام) وزبانة (الاستقلال). وقد اعتبرت روح الشهيد إحدى الأحجار التي قامت عليها جزائر اليوم، ومثلت المقصلة وسام شرف منح له عن جدارة واستحقاق ودليلا قاطعا على حبه الشديد للوطن.[2]

آثر مفدي استخدام لفظة "**قام**" للدلالة على نفس المعدم الراضية بالموت، حاملا نفسه إلى مصيره غير مقاد عزيزا كريما. تنم عبارة استقبال الصباح الجديد عن استشهاد زبانة، وهنا كلمة استقبال تدل على أهمية الشيء المنتظر، وكذلك تشير إلى الهروب من شيء يسبق هذا المنتظر،

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 321.
[2] المرجع نفسه – ص: 321.

وهو الليل، الذي يحيل إلى التعذيب والمعاناة. وقد شكل إعدام زبانة قضاء لحياته في الدنيا، وبداية حياة أبدية في قلوب الشعب، وخلود إلى جانب رفاق الجهاد في الجنة.[1]

إن حالة الشاعر النفسية جمعت بين الحزن والأسى على فقدان رفيق السجن والرضى والغبطة بتحقيق مكسب عظيم ألا وهو الانتصار أمام العدو، فقد كانت مواجهة زبانة للموت بمثابة صفعة قوية تركت أثرها على وجه المحتل، فالانتصار عند مفدي لم يقتصر على الواقعة المأساوية (إعدام زبانة) بل تعداها إلى نمو بذرة المقاومة داخل نفوس الشعب الجزائري.

ألفاظ الصورة: اتسمت جل ألفاظ قصيدة الذبيح الصاعد بالإشراق، وحملت في طياتها معاني الأمل والتفاؤل إضافة إلى الفخر والاعتزاز ببطولة الشهيد **"أحمد زبانة"**:

قام . يختال . وئيدا . يتهادى . نشوان . النشيد . باسم . الثغر . الملائك . الطفل . يستقبل . الصباح . الجديد . شامخا . أنفه . جللا . تيها . رافعا . رأسه . الخلود . رافلا . خلاخل . زغردت . لحنها . الفضاء . حالما . الكليم . المجد . الحبال . الصعود.. [2]

تعد التضحية والاستشهاد في سبيل الوطن مبدأ يؤمن به كافة الشعب الجزائري، يبهج القلب ويثلج الصدر، من أجل تحقيقه تزهق أرواح جمة:

فَمَضَـــى الشَّـــعْبُ بِالْـــجَمَاجِمِ يَبْنِـــي أُمَّـــــةً حُـــــرَّةً وَعِـــــزاً وَطِيـــــدَا[3]

"يودع الشهيد بالزغاريد والهتاف بكل فخر واعتزاز به، فهو مقبل على الموت دون مبالاة أو ندم، ساخرا من الانتصار الوهمي للعدو فقد قدم روحه بأجر بخس مقابل أن تحيا الجزائر حرة"[4]، ولعل هذا الموقف ناجم عن يقين زبانة بظهور خليفة له:

---

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا – ص: 322.

[2] ينظر المرجع نفسه – ص: 324، 325.

[3] مفدي زكريا: اللهب المقدس– ص: 20.

[4] يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا– ص: 327.

وَاقْــضِ يَا مَــوْتُ فِيَّ مَــا أَنْــتَ قَــاضٍ أَنَا رَاضٍ إِنْ عَــاشَ شَعْبِــي سَــعِيدَا

وقول آخر:

أَنَا إِنْ مِــــتُّ فَالْــــجَزَائِرُ تَــــحْيَا حُــرَّةً، مُسْتَــقِلَّــةً لَــنْ تَبِيــدَا[1]

قد يكون الحزن والأسى على فقدان ابن من أبناء الجزائر بانتهاء حياته، على العكس تماما بل هم أحياء عند ربهم يرزقون:

يَا زَابَانَا أَبْلِــــغْ رِفَاقَــــكَ عَنَّــــا فِي السَّمَوَاتِ، قَدْ حَفِظْنَا الْعُهُودَا

وَارْوِ عَــنْ ثَــوْرَةِ الْــجَزَائِرِ، لِلْأَفْــ ـلَاكِ، وَالْكَائِنَاتِ، ذِكْراً مَجِيدَا[2]

بناء الصورة عند مفدي زكريا:

تعد الصورة الشعرية مزيجا من المتناقضات، فهي تجمع بين الفكرة والواقع الحسي من خلال التقريب بين الأشياء المتباعدة، فوظيفة الشاعر تكمن في تفكيك الواقع الحسي وذلك بانتقاء ما يخدم شعوره، مع إعادة صياغته من جديد. والصورة عند مفدي تنم عن التجديد في التراث العربي القديم دون الخروج عنه، حيث عمد الشاعر الى التركيب بين القديم والحديث فجعل صوره موحية، ترسم ظلالا للمعنى، هذا بالنسبة للوظيفة، وفيما يخص الشكل فأغلبها تشبيهات واستعارات تتم في بيت واحد أو أبيات معدودة، وهذا راجع إلى التزام الشاعر بالبحور الخليلية. وقد كان لمفدي زكريا محاولات في الخروج عن هذه الأخيرة بحيث أصبحت أقرب للصور الحديثة في إيحائها وشكلها،[3] يقول:

[1] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 18.

[2] المصدر نفسه – ص: 19.

[3] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 330، 331.

وَسَوَادُ اللَّيْلِ قَاتِمٌ

مَالَتْ الْأَكْوَانُ سكرَى

ثَمِلَات

أَوْدَعْتُهَا مُهْجَةَ الْأَقْدَارِ سِرًّا [1]

المطلب الرابع: البلاغة في شعر مفدي زكريا

تعد البلاغة أحد العلوم التي عرفها العرب قديما، وركيزة من ركائز الشعر العربي، وكذا رمزا للفصاحة والمكانة الرفيعة في المجال الأدبي، تدل على ذوق وذكاء المتحدث، نظرا لأهميتها وأثرها الكبير على السامع حظيت باهتمام العديد من النقاد أمثال **الجاحظ، قدامة ابن جعفر، الأصمعي** وغيرهم، ممن شغلهم البحث في علومها والتقعيد لها. أورد **الجاحظ** في هذا الصدد قول **العتابي** حين سئل عن البلاغة، فقال: **"البليغ كل من أفهمك حاجتك من غير إعادة ولا حبسة، ولا استعانة فهو بليغ"**، كما قال **الأصمعي** عن البلاغة: **"البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر"**.[2]

يعرفها **النويري** في كتابه **نهاية الأرب: "ما فهمته العامة ورضيته الخاصة"** من خلال هذا التعريف نخلص إلى أن البلاغة لابد أن تصبغ بالبساطة والسهولة، مبتعدة بذلك عن التعقيد والغموض، إضافة إلى هذه الميزة توفر العنصر الجمالي من طرف المثقفين. أعتبر ما جاء به **النويري** بأنه المفهوم الصحيح للبلاغة.

[1] يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا – ص: 331.

[2] محمد زغلول سلام: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، حتى القرن الرابع الهجري- منشأة المعارف- الإسكندرية- د. ط- 2002م- ص:21.

إن شعر مفدي زكريا يرتكز بالدرجة الأولى على التراث العربي القديم، رغم حداثة عصره، ومن مظاهر ذلك حفاظه على القصيدة العمودية والبحور الخليلية إضافة إلى الوجود البلاغي المكثف في قصائده الشعرية، وكثرة اصطناعه للتشبيه، فمعظم الأحداث والأفكار التي ضمنها في شعره يعمد إلى استظهارها وتبليغها في تشبيه[1]. ففي مطلع قصيدة "**الذبيح الصاعد**" التي يقول فيها:

قَـــامَ يـــَخْتَالُ كَالْـــمَسِيحِ وَئِيـــدَا يَتَهَـادَى نَشْـوَانَ، يَـتْلُـــو الـنَّـشِيـدَا

بَاسِـــمَ الثَّغْـــرِ، كَالْـــمَلَائِكِ أَوْ كَالطِّـــ ـــفْلِ، يَسْـــتَقْبِلُ الصَّـــبَاحَ الْـــجَدِيدَا

"وظف الشاعر في هذين البيتين ثلاثة تشبيهات، عكسا المكانة العظيمة والقيمة المكينة لزبانة عند الله وفي نفس الوقت براءة وشجاعة الشهيد".[2]

ويقول أيضا من نفس القصيدة:

حَالِـــمَا كَـــالْكَلِيمِ كَلَّمَـــهُ الْمَجْـــ ـــدُ فَشَـدَّ الْـحِبَالَ يَبْغِـي الصُّـعُودَا

وَتَسَـــامَى كَـــالرُّوحِ فِي لَيْلَـــةِ الْقَـــدْ رِ سَـلَامًا يَشِّـعُ فِي الْكَـوْنِ عِيـدَا(...)

وَتَعَـــالَى مِثْـــلَ الْـــمُؤَذِنِ يَتْلُـــو كَلِمَـاتِ الْـهُدَى، وَيَـدْعُو الرُّقُـودَا[3]

ارتكز تشبيه الشاعر هنا على معاني دينية، حيث استعان في البيت الأول بكليم الله موسى عليه السلام، وفي البيت الثاني عبارة "**وتسامى كالروح**" تشير إلى جبريل عليه السلام، أما فيما يخص

[1] ينظر شريبط أحمد شريبط: مباحث في الأدب الجزائري المعاصر- ص: 164.

[2] عبد الملك مرتاض: المقاومة الوطنية في الجزائر (1830- 1962)، رصد لصور المقاومة في الشعر الجزائري- دار هومه- د. ط- 2003م- ص: 468.

[3] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 17.

البيت الأخير جاء على ذكر مؤذن الفجر وربطه بلحظة إعدام زبانة دلالة على قيمة الزمن المتمثل في الفجر من خلال عبارة **"ويدعوا الرقودا"**[1].

استند مفدي زكريا في بناء معظم صوره البيانية على القرآن الكريم، على غرار قصيدة **"وقال الله"** نجده يخرج من المألوف، حيث اكتفى بما هو دنيوي في صياغة تشبيهه دون اللجوء إلى توظيف ألفاظ ذات صلة بالدين وذلك واضح في قوله:

تَجَلَّى ضَاحِكَ الْقَسَمَاتِ تَحْكِي كَوَاكِبَـــــه قنابلـــــه لـــــهابا

المشبه به هنا دنيوي المعنى، فقسمات الوجه الضاحك تهللها تماثل الكواكب المنيرة التي تحكي هي أيضا نيران القنابل التي فجرها أبطال الثورة[2].

إلى جانب الموسيقى الصوتية فقد حمل شعر مفدي شكلا آخر من الموسيقى وهو الموسيقى الفكرية، وتتمثل في الإيقاع المنتظم للأفكار الذي يحدث أثرا جليا على المتلقي، وهي في مجملها علاقات التقابل والتناقض والتزاوج التي أخذت مكانا كبيرا في دراسات علماء البلاغة قديما، وسموها بأسماء مختلفة من طباق، مقابلة، عكس،.. إلا أن هذا النوع من الموسيقى لا نجده بكثرة في شعر مفدي، ولكن هذا لا ينفي وجود محاولات جيدة، مثل العكس والتبديل في حديثه عن رسالة الشعر ودوره الثوري في المجتمع[3]:

رِسَـــالَةُ الشِّـــعْرِ فِي الـــدُّنْيَا مُقَدَّسَـــةٌ لَوْلَا النُّبُوءَة كَانَ الشِّعْرُ قُرْآنَا

وَكَـمْ حَصَـدْنَا بِـهَا الْأَصْـنَامَ شَاخِصَـةً وَكَمْ أَقَمْنَا مِنَ الْأَصْنَامِ إِنْسَانَا[4]

[1] ينظر عبد الملك مرتاض: المقاومة الوطنية في الجزائر (1830- 1962)- ص: 468، 469.

[2] ينظر المرجع نفسه- ص: 470.

[3] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 352. 354.

[4] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 245.

حقق قول الشاعر إيقاعا فكريا ومتعة فنية للسامع من خلال جمعه بين متناقضين مختلفي المنبع تحطيم الأصنام وبعث الأصنام، ينتهيان إلى هدف واحد وهو رسالة الشعر.

سلّط مفدي الضوء على أهمية الشعر ودوره في كشف الحقائق، ومواجهة أصحاب السلطة الفاسدين، بفضحهم ووضع حد لهم، باعتبارهم عقبة في طريق تطور الدولة وتقدمها، وشبههم بقوله **الأصنام الشاخصة**، إضافة إلى ذلك سعى الشاعر إلى بعث روح الثورة والمقاومة في نفوس الشعب وزرع الثقة في نفس كل مستضعف وتوعيته وحثه على رفض الاستبداد.

من مميزات شعر مفدي زكريا الحضور الكثيف للجناس، الذي يعد ظاهرة ثابتة ومميزة له، فلا تكاد قصيدة تخلو منه، وكما هو معروف أن الجناس اتحاد لفظتين في المبنى أو متشابهتين فيه، مختلفتين في المعنى. ويظهر ذلك قصيدة هاجم بها منظمة الأمم المتحدة، لخذلانها القضية الجزائرية[1]:

هُـمْ حَـرَّرُوا الْـمِيثَاقَ هَـلَّا حَـرَّرُوا أُمَـمـاً تُسَـامُ حَقَـارَةً وَتُضَـامُ

كان كذب واحتيال الدول الاستعمارية في القرارات والمواثيق السبب الأول الذي دفع شاعر الثورة إلى التهجم عليها، فلم تسلم دولة من سلب حقوقها وثرواتها تحت شعار الحرية والسلام الوهمي، فهذا المستبد ذو وجهين الأول يقابل به على أنه السند والحامي لحقوق الإنسان، والوجه الحقيقي له حمل صفات المكر والخبث بجعلها تعاني الظلم والذل والاحتقار، بدا هجوم الشاعر واضحا من خلال الجناس الموظف في البيت، وذلك بالاعتماد على لفظة **حرروا** الواردة مرتين، تحمل في طياتها معنيين باعتبارها جناس تام، فالأولى أدت معنى الكتابة، أما الثانية أخذت منحى المقاومة ومحاربة الاستعباد، ساهمت المفارقة القائمة على الاتحاد الشكلي والتناقض المعنوي في جمال الصورة وقوة تأثيرها، كما حقق تقابل الموقفين المتناقضين إيقاعا فكريا[2].

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 354. 355.

[2] المرجع نفسه- ص: 355.

تحدث شاعر الثورة عن طبيعة الجزائر وقد جاء في حديثه هذا على ذكر الصحراء، قائلا:

وَتَــحْتَ خِيَامِهَــا اِنْــحَبَسَتْ عُيُــونٌ لَــهَا هَــارُوتُ قَــدْ سَــجَدَ اِحْتِسَــابَا

وَتَــحْتَ خِيَامِهَــا اِنْبَجَسَــتْ عُيُــونٌ أَسَــالَتْ مِــنْ فَــمِ الــدُّنْيَا لُعَــابَا

عَشِــقْنَا عِنْــدَ أَسْــمَرِهَا وَسَــمْرَا فُنُونَ السِّحْــرِ وَالتَّبْــرِ الْمُذَابَــا

المقصود بعبارة "**انحبست عيون**" عيون نساء الصحراء القابعات في الخيام (حاسة النظر)، "**لها هاروت قد سجد احتسابا**" تشير هذه العبارة إلى أنه رغم عظمة ملك السحر هاروت إلا أنه انسحر بمدى جمال تلك العيون، وتحت تلك الخيام انبثقت عيون هي منابع أسرت العالم بثرائها لدرجة الطمع والمراد بها آبار البترول المتواجدة بصحراء الجزائر.

توضح هذه الأبيات قدرة الشاعر البلاغية، المتجلية في المزج بين الموسيقى الصوتية والفكرية، من خلال التكرار اللفظي (**عيون، خيام، أسمر/ سمرا**)، وكذا موازنته بين صورتين متباينتين (**عيون الأنثى/ آبار البترول**). وقد قامت صورة الجناس بشمل أجزاء صغيرة وطرحها في صورة أكبر وهي طبيعة الجزائر الساحرة.[1]

[1] ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- ص: 356.

المبحث الثالث: المعجم الشعري.

يعتمد الشاعر في بناء قصيدته على جملة من الألفاظ التي تتناسب مع تجربته الخاصة والموقف الذي يود التعبير عنه، سواء كان غزلا أم مدحا أم فخرا.. فالموضوع يفرض على الشاعر كلمات معينة، وتندرج تلك الأخيرة ضمن ما يعرف بالمعجم الشعري، والذي يعد سمة أسلوبية، ووسيلة للتمييز بين لغات الشعراء المعجمية[1]، يعرفه **عبد الملك مرتاض** بقوله: **"التميّز الذي يميّز النص الإبداعي بمجموعة من الخصائص الفنية التي يتفرد بها، أو يجب أن يتفرد بها على الأقل – جدلا– كل مبدع في أي لغة وفي أي أدب"**[2]، يحتل القرآن الكريم والشعر العربي القديم قمة المصادر التي يستمد الشعراء منها لغتهم، ويتجلى ذلك في توظيفهم لعبارات وألفاظ وكذا أسماء شخصيات منها، على غرار اقتباس المعاني، وهذا ما نلمسه في قصائد شاعر الثورة المجيدة مفدي زكريا، فقد حفلت بالكثير من الألفاظ القرآنية وأسماء الأنبياء والشخصيات الإسلامية والتاريخية، إلى جانب استقائه من قصائد فحول الشعراء.

المطلب الأول: المعجم الديني

لطالما كان القرآن الكريم النور الذي أضاء به مفدي قصائده وسط عتمة السجن، باعتباره أكثر شعراء السجن توظيفا للمفردات القرآنية، وقد يكون السبب وراء شغفه وولعه بأساليب النص القرآني ما ذهب إليه **محمد ناصر** في قوله: **"كان كلما أراد التعبير عن قدسية شيء ما، او عظمته في نفسه قارنه بالقرآن، إحساسا منه أن القرآن يمثل في نفسه لا نهاية بعده، ومن ثم كان يرى أنه لا نهضة أدبية أو فكرية، بدون القرآن، وأنه لا يروي ظمأ هذه الأمة إلا عبها**

---

[1] ينظر وضحاء بنت سعيد آل زعير: المعجم الشعري- الجزيرة- سعورس- 14 جويلية 2011م- https://www.sauress.com - تم الاطلاع عليه يوم: 5 جوان 2019.

[2] المرجع نفسه. – https://www.sauress.com .

من هذا المنهل العذب الذي لا ينضب ولا يضعف"[1]، ولّد إعجاب الشاعر الشديد بأسلوب القرآن رغبة كبيرة في خلق نص رفيع يحاكي فيه مستوى النص القرآني، ومن الألفاظ التي رصع بها شعره لفظة المثاني في قصيدة الذبيح الصاعد إشارة منه على قداسة القضية الجزائرية:

اِحْفَظُوهَـــا زَكِيَّـــةً كَالْمَثَانِـــي وَانْقُلُوهَـــا، لِلْجِيـــلِ ذِكْـــراً مَـــجِيداَ

واستعمل لفظة مستضعفين من نفس القصيدة:

يَا ضـــلال المستضـــعفين، إِذَا هُـــمْ أَلِفُوا الذُّلَّ وَاسْتَطَابُوا الْقُعُودَا

استعان مفدي بلفظة صياصيهم من كلام الله عز وجل في قصيدة **زنزانة العذاب رقم 73**، قائلا:

أَنَامُ مِـــلْءَ عُيُونِـــي غِبْطَـــةً وَرِضَـــى عَلَى صَيَاصِيكِ لَا هَمٌّ وَلَا قَلَقُ

كما أورد عبارات من القرآن الكريم في قصيدة **وقال الله... (ليلة القدر، ألف شهر)**:

دَعَـــا التَّـــارِيخُ لَيْلَـــك فَاسْـــتَجَابَا نُوفَمْبَرُ هَلْ وَفَّيت لَنَا النِّصَابَا؟
وَهَـلْ سَـمِعَ الْـمُجِيبُ نِـدَاءَ الشَّـعْبِ فَكَانَـــتْ لَيْلَـــةُ الْقَـــدْرِ الْـــجَوَابَا؟
تَبَـــارَكَ لَيْلُـــك الْـــمَيْمُونُ نَـــجْماً وَجَـــلَّ جَلَالُـــهُ، هَتـــك الْـــحِجَابَا
زَكَـــتْ وَثَبَاتُـــهُ عَـــنْ أَلْـــفِ شَـــهْرٍ قَضَـــاهَا الشَّـــعْبُ يَتَلَحَـــقُ السَّـــرَابَا[2]

إضافة إلى قوله من قصيدة **وتعطلت لغة الكلام**:

أَسْـــرَى بِـــهَا بَرْبَـــرُوسُ خَيَالَـــهُ وَهفـــت بِـــهِ لحمَـــاكـــمْ الْأَحْـــلَامُ

---

[1] محمد ناصر: مفدي زكريا شاعر النضال والثورة- ص:70، 71- نقلا عن: شريبط أحمد شريبط- مباحث في الأدب الجزائري المعاصر- منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين- الجزائر- ط1- 2001م- ص: 157.

[2] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 33.

يُظهر هذا البيت تأثر الشاعر بحادثة الإسراء والمعراج من خلال توظيفه للفعل أسرى.

المطلب الثاني: المعجم التاريخي

إن تعلق مفدي بالإسلام أمر مفروغ منه بدليل توظيفه للألفاظ القرآنية ومذا تأثره بالقصص التي وردت في كتاب الله، هذا إلى جانب أسماء الأنبياء والشخصيات الإسلامية والتاريخية في سجنياته، وجاء هذا التوظيف سعيا من الشاعر للسمو بشعره وإكسابه أبعاد ودلالات الشخصيات الروحية والدينية، فنجده يطرح سير بعض الأنبياء ويكسبها معاني جديدة لتلائم الحدث التاريخي الذي يعبر عنه، ومن بين الأسماء التي ألهمت الشاعر نذكر (**موسى، عيسى، آدم، جبريل، حواء، الملكين هاروت وماروت،..**)[1].

تعد شخصية موسى عليه السلام أكثر حضورا بعكس باقي الشخصيات، وذلك نابع عن إعجاب الشاعر بسيرته، ومواجهته لأحد رموز الشر ولعل هذا شبيه بمقاومة الشعب الجزائري للاحتلال الفرنسي. يرجع سبب ثراء قصائد مفدي بأسماء الشخصيات الدينية إلى انبهاره بصفاتهم الرفيعة التي تعالوا بها عن سائر خلق الله، حيث تجسدت بعض ملامحها في شخص أحمد زبانة، وقد مثلت قصيدة الذبيح الصاعد أكثر قصائده احتواء لها خصوصا الرسل، وكان النصيب الأكبر منها لقصة سيدنا عيسى عليه السلام لدرجة الاستئثار بها[2]. يقول في مطلع القصيدة:

قَـــامَ يـــخْتَالُ كَالْـــمَسِيحِ وَئِيـــدَا يَتَهَـادَى نَشْـوَانَ، يَـتْـلُـو الـنَّشِـيـدَا

وجاء في قصيدة **وقال الله**... ذكر إحدى الشخصيات الواردة في القرآن "**هاروت**"، في قوله:

وَتَـــحْتَ خِيَامِهَـــا، اِنْبَجَسَـــتْ عُيُـــونٌ لَـــهَا هَـــارُوتُ قَـــدْ سَـــجَدَ اِحْتِسَـــابَا

ويقول أيضا من نفس القصيدة:

[1] ينظر شريبط أحمد شريبط: مباحث في الأدب الجزائري المعاصر- ص: 168.

[2] المرجع نفسه- ص: 168، 169.

وَكَـــانَ مـــُحَمَّدُ، نَسَـــباً لِعِيسَـــى وَكَـــانَ الْـــحَقُّ، بَيْنَهُمَـــا اِنْتِسَـــابَا

وَمُوسَـــى، كَـــانَ يَأْمُـــرُ بِالتَّـــآخِي وَحَـــذَّرَ قَوْمَـــهُ، مَكْـــراً وَعَـــابَا [1]

ولم تغب الأنثى عن ذهن الشاعر حيث وظف بعض أسماء النساء التي ذكرت في القرآن الكريم، كقوله:

وَهَـــزَّتْ مَرْيَـــمُ الْعَـــذْرَآ نَـــخِيلاً فَأَسْـــقَطَتْ الفلـــوذج وَالرّضَـــابَا

كما استحوذت بعض الشخصيات من التاريخ الإسلامي على إعجاب واهتمام مفدي، باعتبارها في نظره نماذج عظيمة يجدر الاقتداء بها، وذلك لأهمية الأدوار التي قامت بها، والصفات التي تحلت بها كالصبر والذكاء والصلابة والشجاعة.. وكان أبرزها الصحابي الجليل **بلال ابن رباح** وكذا خادم الحرمين الشريفين **صلاح الدين الأيوبي**[2]:

سَـوْفَ لَا يعـدم الْـهِلَالُ صَـلَاحَ الـدِّ يـنِ فَاسْتَصْـرِخِي الصَّـلِيبَ الْـحَقُودَا

المطلب الثالث: المعجم اللغوي

حصل مفدي زكريا ثقافة عميقة واطلاعا واسعا بالتراث الأدبي العربي عموما والشعر العربي خصوصا، خلال سنوات دراسته في الجزائر وتونس، وقد شد اهتمامه في مسيرته العديد من الشعراء القدامى والمحدثين كذلك، وجذبته قصائدهم بجزالة ألفاظها وفخامة معانيها علاوة لثرائها بالصور الدالة على الخيال الخصب[3]، شكل ديوان العرب ثاني مصدر ينهل منه الشاعر، ومنبعا يروي به قصائد، وقد بدى متأثرا بهم بشكل كبير للغاية حيث نلمس حضورا قويا للتراث العربي في شعره لفظا ومعنى، عمد الشاعر إلى إنعاش نصوصه بروح أولئك الشعراء، أين استعان ببعض الأبيات الشعرية القديمة، ومن ذلك قوله في قصيدة "**وتعطلت لغة الكلام**":

---

[1] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 39.

[2] ينظر شريبط أحمد شريبط: مباحث في الأدب الجزائري المعاصر- ص: 172.

[3] ينظر المرجع نفسه- ص: 163.

السَّـيْفُ أَصْـدَقُ لَـهْجَةً مِـنْ أَحْـرُفٍ كُـتِبَتْ فَكَـانَ بَيَـانُهَـا الْإِبْـهَـامُ

وَالنَّـارُ، أَصْـدَقُ حُجَّـةً فَاكْتُـبْ بِـهَا مَـا شِـئْتَ، تصعق عِنْدَهَـا الْأَحْـلَامُ

إِنَّ الصَّـحَائِفَ، لِلصَّـفَائِحِ أَمْرهَـا وَالِحِبْـرُ حَـرْبٌ، وَالْكَـلَامُ كَـلَامُ[1]

تؤكد هذه الأبيات على تأثر الشاعر بالتراث الشعري وإعجابه به إلى درجة محاكاته له، ومن ذلك معارضته لقول **أبي تمام**:

السَّـيْفُ أَصْـدَقُ إِنْبَـاءً مِـنَ الكُتُـبِ فِي حَـدِّهِ الـحَدُّ بـينَ الجِـدِّ واللَّعـبِ

بِـيضُ الصَّـفائحِ لاَ سـودُ الصَّـحائفِ فِي مُتُـونِهِنَّ جَـلَاءُ الشَّـك والرِيَـبِ

ويقول في بيت آخر:

أَنَامُ مِـلْءَ عُيُونِـي غِبْطَـةً وَرِضَـى عَلَى صَيَاصِيكِ لَا هَمٌّ وَلَا قَلَقُ

معتمدا في نظمه على المعجم اللغوي **للمتنبي** في قوله:

أَنَامُ مِـلْءَ جُفُـونِي عَـنْ شَـوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الـخَلْـقُ جَـرّاهَـا وَيَخْتَـصِمُ

وفي حديثه عن ظلم ذوي القربى وإنكار فضله والاستهانة به، يقول:

سَـيَذْكُرُونَ إِذَا اللَّيْـلُ الرَّهِيـبُ سَـجَى وَجَلْجَلَ الْخَطْبُ أَنِّي فِي الدُّجَى فلق

مستمدا من قول **أبي فراس الحمداني** في قوله:

سَيَذْكُرُنِـي قَوْمِـي إِذَا جَـدَّ جِدُّهُـمْ وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

[1] مفدي زكريا: اللهب المقدس- ص: 41، 42.

إن اهتمام مفدي بالشعر القديم ومحافظته عليه لم يمنعه من الاستفادة من تجارب الشعراء المحدثين وكذا من عاصره، حيث أظهر إعجابا بأساليبهم وبالأخص القصيدة الرومانسية العربية، ودفعه ولعه بلغة الوجدانيين وشغفه بألفاظهم ونزعتهم الثورية إلى معارضة بعض الشعراء منهم **أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، الروصافي، أبو القاسم الشابي**[1]. ومن ذلك اعتماده على بيتي أحمد شوقي واتخاذها أساسا لبناء هذين البيتين من قصيدة "**حروفها حمراء**":

إِنْ جَهِلْـــتُمْ طَرِيقَـــهُ فَعَلَيْهَـــا لَافِتَـــاتٌ حُرُوفُهَـــا حَـــمْرَاءُ

اِعْتِـــرَافٌ فَدَوْلَـــةٌ فَسَـــلَامٌ فَكَـــلَامٌ فَمَوْعِـــدٌ فَجَـــلَاءُ

استخدم مفدي المعجم اللغوي لشوقي في بيتيه الشهيرين:

خَـــدَعُوهَا بِقَوْلِـــهِمْ حَسْـــنَاءُ وَالْـــغَـــوَانِـــي يَـــغُـــرُّهُـــنَّ الثَّنَـــاءُ

نَظْـــرَةٌ فَابْتِسَـــامَةٌ فَسَـــلَامٌ فَكَـــلَامٌ فَمَوْعِـــدٌ فَلِقَـــاءُ

ولعل أبرز شاعر نجد بصماته في شعر مفدي هو الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي، فقد مثل إن صح القول النموذج المثالي الذي استقى منه في نظم شعره، ومما ساهم في ذلك الصداقة الحميمة التي جمعتهما كطالبين بجامع الزيتونة، تأثر مفدي بلغة الشابي إلى حد بعيد ويبدو ذلك في قصيدتي "**الذبيح الصاعد**" و"**زنزانة العذاب**" أين اعتمد فيهما على لغة هامسة ذات نغم حزين[2]، ويتجلى بشكل واضح في قصيدة "**نشيد بربروس**" التي يخاطب فيها السجن:

يَا لَيْـــــلُ خَـــــيِّمْ وَاعْصِـــــــفِي يَا رِيَاحْ

يَا أُفُـــــقُ دَمْـــــدِمْ وَاقْصِـــــفِي يَا رُعُـــــودْ

يَا دَمُ شَرْشِـــــــــــرْ وَاثْخَـــــنِي يَا جِـــــرَاحْ

[1] ينظر شريبط أحمد شريبط: مباحث في الأدب الجزائري المعاصر- ص: 166، 167.

[2] المرجع نفسه- ص: 167.

الخاتمة

سافر بنا هذا الموضوع عبر عوالم خفية من حياة شعراء السجون، كشفت لنا عن الجانب النفسي الذي خلفه السجن في قلوبهم، ونقل لنا كم الألم والمعاناة التي شهدتها هذه الفئة في فترة ما، إلى جانب هذا أبرز دور السجن الكبير في ميلاد العديد من القصائد السجنية العظيمة، التي حظيت بمكانة لا تقل أهمية عن سائر الأعمال الشعرية المعروفة، وقد كان ديوان اللهب المقدس لمفدي زكريا مثالا عن الإبداع المنبثق من عتمة الأقبية وظلمات السجن. لذا توصلنا في نهاية دراستنا إلى جملة من النتائج، تتلخص في الآتي:

1. شكل السجن هاجسا قويا لدى شعراء الأمة العربية وهذا دفعهم إلى الخوض في غمار تجربة شعرية أسموها "شعر السجون" وذلك باعتباره ثمرة معاناة الشاعر وعذابه جراء سلب حريته، نسجت كلماته من وراء الأسوار والزنازين، ولم يقتصر هذا الفن على عصر أو مكان معين، إنما تواجد في كل العصور وذلك راجع لظاهرة سجن الشعراء، التي تخطت حدود الزمان والمكان، واستمرت باستمرار حياة البشر، وقد بلغ أوجه في العصور الحديثة نتيجة لغياب العدالة التام وتفشي الظلم في ظل الاحتلال الأوروبي، وتمخض عن ذلك نظم العديد من الدواوين الشعرية التي صبت في بحر الثورة وحياة السجن المروية بحب الوطن، والرغبة في تحقيق العدالة على أرض الواقع.
2. مر شعر السجون عبر مسيرته بجملة من القضايا والمضامين التي مست الشاعر السجين، فمهما حجبت جدران السجن عنه نور الشمس أو غيبت ريح الحرية، فإنها لم تحجب فيه نور الإبداع والكتابة، ومن الإبداعات الشعرية التي فاضت بها قرائح الشعراء ديوان اللهب المقدس لمفدي زكريا الذي حمل في طياته تاريخ الثورة التحريرية، ومثل دليلا قاطعا على وطنية الشاعر وعروبته، ناقلا من خلاله العديد من المشاعر التي سكنت نفوس السجناء من ألم وحنين، وكذا قوة وصبر، مسلطا الضوء على أهمية الوحدة الوطنية والعربية، مقدما ذلك بأسلوب فني عكس قدرته وتمكنه من الجانب اللغوي والبلاغي في آن واحد، ولعل ذلك راجع لاستقاء لغته ومعانيه من القرآن الكريم وتعد هذه الأخيرة صفة مميزة لشعره.

3. شعر السجون فكرة متجذرة في حياة الشعوب العربية شملت مختلف المجالات (اجتماعية، سياسية، دينية،..)، فظهوره لم يكن من العدم وإنما تسبب في ذلك جملة العوامل المحيطة به، واعتبر هذا اللون عصارة تجربة قاسية صقلت روح الشاعر، وأكسبته الحكمة والصبر، حيث نقلها في شكل شعري راقي، فكان السجن عاملا أساسيا في إعلاء قيمة الشعر.

لا تقف رحلة البحث في شعر السجون عند هذا الحد، وإنما ستواصل في ثوب جديد، سعيا منها للكشف عن خبايا هذا الفن الصادق.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أ. **المصادر:**

1. مفدي زكريا: ديوان اللهب المقدس- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- وحدة الرغاية- الجزائر- 2007م.

ب. **المراجع:**

1. أحمد سحنون: ديوان الشيخ أحمد سحنون- الديوان الثاني- منشورات الحبر- بني مسوس- الجزائر- الطبعة الأولى- 2007م.

2. أحمد مختار البرزة: الأسر والسجن في شعر العرب، تاريخ ودراسة- مؤسسة علوم القرآن- دمشق- بيروت- الطبعة الأولى- 1405هـ/1985م.

3. أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة- دار المعارف- القاهرة- دون طبعة- 1985م.

4. (أبو) الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة- تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- دون بلد- دون طبعة- دون تاريخ- الجزء: 03.

5. السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس- تحقيق: مصطفى حجازي- راجعه: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، خالد عبد الكريم جمعة- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- الطبعة الأولى- 2001م- الجزء: 35.

6. (أبو) الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب- دار صادر- بيروت- دون طبعة- دون تاريخ- المجلد: 13.

7. (أبو) القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي- دار البصائر- الجزائر- الجزء العاشر 1962/1954- طبعة خاصة- 2007م.

8. أنيسة بركات درّار: أدب النضال في الجزائر (من سنة 1945- حتى الاستقلال)- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- دون طبعة- 1984م.

9. حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان، من الأدب السياسي- دار الحقائق- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- 1986م.

10. شريبط أحمد شريبط: مباحث في الأدب الجزائري المعاصر- منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين- الجزائر- الطبعة الأولى- 2001م.

11. عبد الله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الحديث- تقديم: صالح جودت- كتب ثقافية- الدار القومية للطباعة والنشر- روض الفرج- العدد: 178.

12. عبد الملك مرتاض: المقاومة الوطنية في الجزائر (1962-1830)، رصد لصور المقاومة في الشعر الجزائري- دار هومه- دون طبعة- 2003م.

13. محمد زغلول سلام: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، حتى القرن الرابع الهجري- منشأة المعارف- الإسكندرية- دون طبعة- 2002م.

14. محمد زكريا عناني: تاريخ الأدب الأندلسي- دار المعرفة الجامعية- قناة السويس- دون طبعة- 1990م.

15. محمد مصايف: دراسات في النقد والأدب- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- دون طبعة- 1988م.

16. محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925- 1975- دار الغرب الإسلامي- بيروت- الطبعة الثانية- 2006م.

17. مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954 . 1962، دراسة موضوعية فنية- ديوان المطبوعات الجامعية- بن عكنون- الجزائر- دون طبعة- 1998م.

18. واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية، من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي- المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- 1995م.

19. وهيب طنوسي: الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر ميلادي- دون مطبعة- دون بلد- الطبعة الأولى- 1975م/ 1976م.

20. يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية- دار البعث- قسنطينة- الجزائر- الطبعة الأولى- 1407هـ/ 1987م.

ج. الرسائل الجامعية:

1. توفيق شبايكي: التشكيل الإيقاعي في ديوان محمد الشبوكي الوطنيات والأناشيد نموذجا- مذكرة ماجستير- جامعة الحاج لخضر- باتنة- 1431هـ/1432هـ. 2010م/ 2011م.

2. حليمة بن عمر: مرايا السجن في الشعر العربي المعاصر بدر شاكر السياب نموذجا- مذكرة ماجستير- جامعة تلمسان- 2011م/. 2012م.

3. حليمة بوسعيد: صورة الوطن في شعر السجون محمود درويش أنموذجا- مذكرة ماستر- جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي- 2014م/ 2015م.

4. سكينة قدور: الحبسيات في الشعر العربي- أطروحة دكتوراه- جامعة منتوري- قسنطينة- الجزائر- 2006م/ 2007م.

5. سمية حسن علي الرقيبات: الرؤية والتشكيل الجمالي في شعر الأسر والسجن في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري- مذكرة ماجستير- جامعة آل البيت- 2012م/ 2013م.

6. علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب العربي في فترة الاحتلال الأوروبي- أطروحة دكتوراه- جامعة محمد خيضر- بسكرة- 2012م/2013م.

7. عمر زيرق: شعر السجون في الجزائر- مذكرة ماستر- جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- الجزائر- 2011م/ 2012م.

د. المجلات والدوريات:

1. جهانكير أميري، إلهام كاظمي: "مكارم الأخلاق في سجنيات أحمد سحنون (دراسة وتحليل)"- مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها- العدد: 23- ربيع وصيف 1395هـ.
2. وسيلة بكيس: "تجليات الجسد المعذب في الشعر الثوري الجزائري الشعر السجني أنموذجا ما بين 1954 و 1962"- مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية- العدد: 4- ديسمبر 2014م.

هـ. المراجع الإلكترونية:

1. رمضان رضائي: "أحمد الصافي النجفي وحبسياته"- دانشنامه- Daneshnamah.srbiau.ac.ir
2. ناجية مولود الكلامي: "قصيدة السجن في شعر محمد الشلطامي"- مؤتمرات كلية الأدب- جامعة طرابلس- ليبيا- د. ت- http://erepository.cu.edu.eg.
3. نجدة فتحي صفوة: هذا اليوم في التاريخ: المجلد الأول كانون الثاني/ يناير- http :books.google.dz.
4. وضحاء بنت سعيد آل زعير: المعجم الشعري- الجزيرة- سعورس- 14 جويلية 2011. https://www.sauress.com .

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات:

شكر وعرفان

مقدمة ..... أ
الفصل الأول: شعر السجون المفهوم والنشأة 4
المبحث الأول: مفهوم شعر السجون. 5
المطلب الأول: السجن لغة واصطلاحا 5
المطلب الثاني: شعر السجون 9
المبحث الثاني: شعر السجون في الأدب العربي القديم. 11
المطلب الأول: في العصر الجاهلي 11
المطلب الثاني: في صدر الإسلام 15
المطلب الثالث: في العصر الأموي 16
المطلب الرابع: العصر العباسي 19
المطلب الخامس: الأندلس 25
المبحث الثالث: شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر. 31
المطلب الأول: شعراء المشرق والمغرب 31
المبحث الرابع: السجن في الشعر الجزائري الحديث. 46
المطلب الأول: أشهر السجون والمعتقلات 46
المطلب الثاني: أهم شعراء الثورة الجزائرية 47
الفصل الثاني: دراسة موضوعية وفنية لديوان اللّهب المقدس 53
المبحث الأول: دراسة موضوعية لديوان اللهب المقدس. 55
المطلب الأول: الحنين والغربة 55
المطلب الثاني: الوحدة الوطنية والعربية 57
المطلب الثالث: الصمود والمواجهة 60
المطلب الرابع: بطولات المظفر وهزائم المعطر 65
المبحث الثاني: الدراسة الفنية لديوان اللهب المقدس. 74
المطلب الأول:اللغة والأسلوب 74

المطلب الثاني: خصائص اللغة والأسلوب في شعر مفدي زكريا 81
المطلب الثالث: الصورة الشعرية 88
المطلب الرابع: البلاغة في شعر مفدي زكريا 93
المبحث الثالث: المعجم الشعري. 98
المطلب الأول: المعجم الديني 98
المطلب الثاني: المعجم التاريخي 100
المطلب الثالث: المعجم اللغوي 101
الخاتمة 104
قائمة المصادر والمراجع 107
فهرس الموضوعات 113
الملخص

الملخص:

الشعر بحر عميق مليء بالأسرار، محاط بغموض يدفع متأمله إلى الغوص فيه لاكتشاف ما بقاعه، أحجية تستفز القارئ، فضاء واسع يحمل مكنونات الشاعر المتولدة عن مثير ما، وقد عرف شعر السجون على أنه ثمرة معاناة الشاعر في غياهب السجن، محملا بأشكال العذاب من قهر وظلم وإذلال خلف البوابات السوداء، ولعل أبرز نموذج في الإرادة والصبر الثورة الجزائرية التي تغنى الشعراء بأمجادها، وهذه الأخيرة ارتبطت باسم مفدي زكريا في ديوانه اللهب المقدس.

شكل السجن منبعا لشعراء الأمة العربية على مر العصور، فقد استقوا منه نتاجهم الشعري الذي سمي لاحقا بشعر السجون الذي مثل عصارة تجربة قاسية عاشها الشاعر في فترة ما، ازداد هذا الفن كثرة في العصر الحديث نتيجة سجن العديد من الشعراء العرب من قبل الاحتلال الأوروبي الذي مس الوطن العربي، وخير مثال يحضرنا في هذا الصدد هو الثورة الجزائرية التي خلدها شعراؤها بقصائدهم.

جسد ديوان اللهب المقدس الثورة التحريرية بكل آلامها وآمالها في النصر واسترداد الحرية المسلوبة، حيث خلد مفدي زكريا كل ذلك في قصائده التي قدمها بأسلوب فني واضح وقوي ولغة عربية فصيحة، عكست قدرة الشاعر البلاغية وتعلقه الشديد بالثقافة العربية عموما والإسلامية خصوصا، وذلك من خلال توظيفه للألفاظ والمعاني القرآنية، إلى جانب أسماء الأنبياء والشخصيات الإسلامية والتاريخية، وكذا استقائه من معاني وألفاظ الشعر العربي قديمه وحديثه.